

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

عنوان المذكرة :

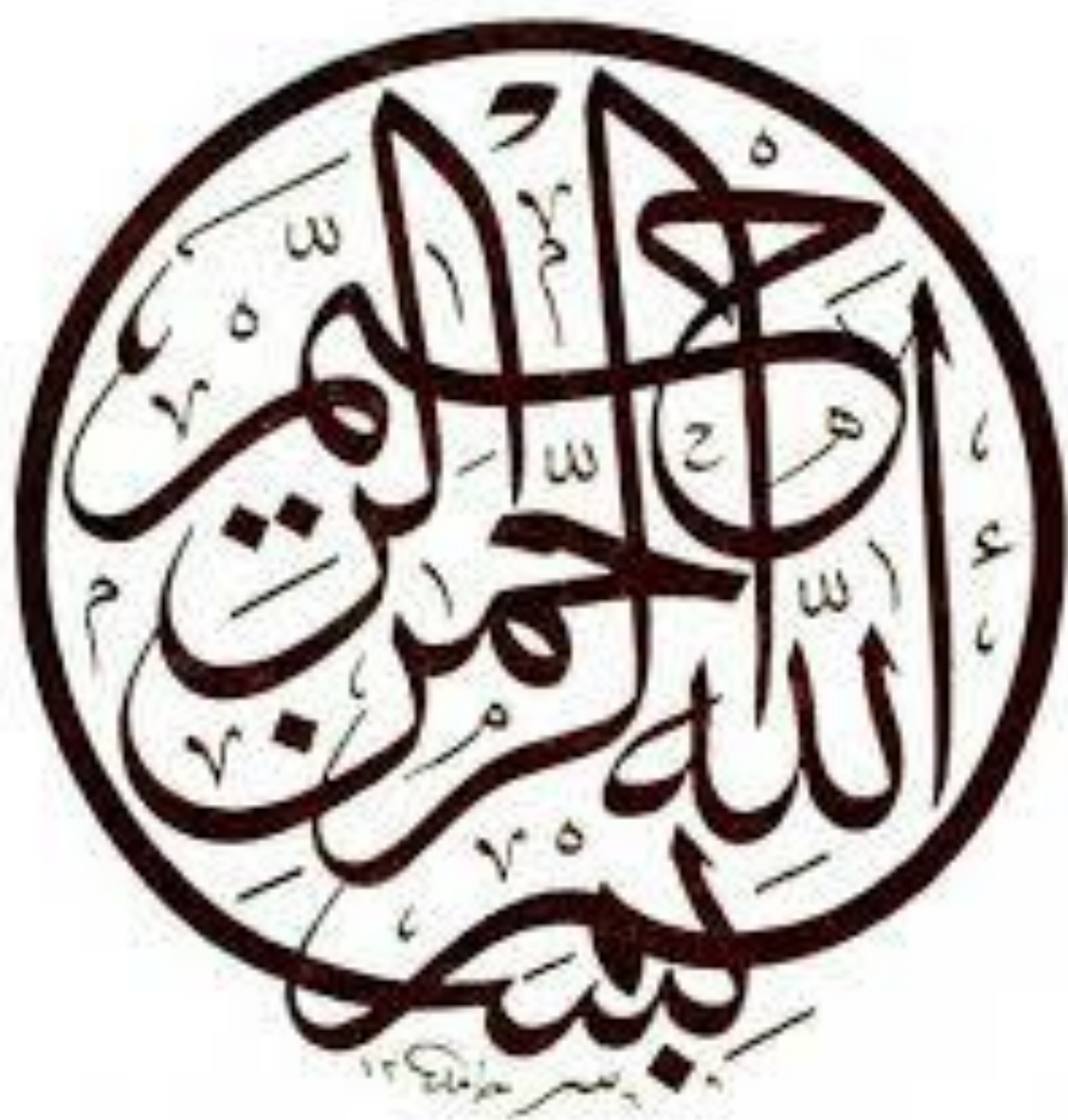
تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ :
كريب عبد الرحمن

إعداد الطالبات :
• كشيئات نوال
• طابتي فاطمة

الموضوع : موقف السلطة السياسية من المذهب المالكي في المغرب
الإسلامي (ق2 – 6هـ / 8 – 12م)

السنة الجامعية : 2015 / 2016



كلمة شكر

إن الحمد لله نستعين به ونستهدي به ، نحمد

يليق بجلال عظمته وعظمة قدرته، و نصلي

ونسلم على النبي الأعظم خاتم الأنبياء والرسل

محمد الهادي الأمين الي بعثه الله فأضاء به

عيونا عمياء وقلوبا غفلاء، أنار السبيل

بداية نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل

"كريب عبد الرحمن" الذي تكبد عناء

الإشراف، ولم يبخل علينا بالتوجيه والإرشاد في

مختلف مراحل البحث، وأعطانا الكثير من

وقته، وله منا كل التقدير والعرفان بالجميل.

و نتقدم بخالص الشكر إلى السادة الأفاضل

أعضاء اللجنة المناقشة على تحملهم عبء قراءة

هذا العمل وتقييمه.

كما لا يفوتنا التقدم بالشكر الجزيل لكل من

مد لنا يد العون والمساعدة من أساتذة وإداريين

وعملين بالمكتبة في قسم العلوم الإنسانية

بجامعة ابن خلدون تيارت

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه، وإلى من أضحت من أجل تعليمي، إلى من أكستني الرعاية والحنان، إلى العظيمة حقا و صدقا أمي أطل الله في عمرها.
إلى الإخوة الكرام نصيرة، أم الخير، لعرج، فايذة، محمد، أمين، أحلام، صابرينة.
إلى كل الأصدقاء: سهام، نادية، نوال، حكيمة، ميمونة، ليليا، حفظهم الله،

إلى كل عائلة طابتي وزروقي من صغيرها إلى كبيرها.

إلى صديقتي ورفيقتي في هذا العمل نوال.

إلى من كان له يد العون من قريب أو بعيد.

طابتي فاطمة



الإهداء

إلى من فتح أبواب النجاح أمامي إلى قرة عيني ومن سهر الليالي من أجل سعادتي إلى من غطاني
أبي العزيز حفظه الله. بوشاح العناية في السراء والضراء إلى من ارتبط إسمي باسمه

إلى من وضع الخالق تحت أقدامها جنة الخلد إلى أعلى امرأة في الوجود إلى من أنارت لي الطريق
بدعائها أُمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى زوجي رفيق دربي صدوق عبد المجيد الذي شجعني ووفر لي الظروف المناسبة لإنجاز هذه الرسالة
وتحمل معي عنائها.

إلى إخوتي: خيرة، سميرة، عبد الاله، عبد الهادي، نورالدين، بوعلام، إكرام.

إلى من حوتنا الغرفة وتقاسمنا ألامها وأفراحها: فاطمة، سهام، ليليا، حكيمة، ميمونة، حنان.

وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني ومنكم صالح أعمالنا ويجعله في ميزان حسناتنا وهو تعالى المستعان
وصلة الحلول وعليه التكلان.

نـ وال

قائمة المختصرات:

ه: هجري.

م: ميلادي.

ط: طبعة.

م: مجلد.

ج: جزء.

تح: تحقيق.

تع: تعليق.

ت: تاريخ الوفاة.

د،د،ن: دون دار النشر.

د،ط: دون طبعة.

د،ت: دون تاريخ.



مقدمة

تدلنا الوقائع التاريخية أن المذاهب الإسلامية، قد دخلت إلى المغرب الإسلامي مع الطلائع الأولى من الفاتحين له، والراجلين عنه، و الوافدين عليه، و ذلك ابتداءً من القرن الثاني الهجري، و ما تلاه، واستمرت تتدفق عليه سنوات وقرون، حتى اجتمع منها عندهم ما كان معروفا عند المشاركة، إذ يُعتبر المذهب المالكي من بين المذاهب التي كان لها المساحة البارزة، و المؤثرة في المغرب الإسلامي إذ تلقوه المغاربة بقبول حسن، وامتزج بدمائهم، وفضلوه على غيره من المذاهب، والصمود عليه رغم ما تلقوه من إضطهادات بأنواع مختلفة، ووسائل متنوعة، شملت مختلف الميادين، رغم هذا لم يستأصلوه من قلوبهم، لا بالحجة ولا بسيف لكن هذا لم يزد لهم إلا إصراراً وعزيمة لتمسك به، فأصبح المذهب المالكي هو المذهب السائد، و المفضل، كما يُعتبر مدرسة مستقلة بين المدارس الفقهية الاجتهادية التي استمرت حتى عصرنا هذا، و كان السبب في انتصارها الدور الذي قام به المالكيون من خلال تكوين أطر مغربية جعلت منهم الأفضل بين الكل.

شهد المغرب الإسلامي منذ الفتح، تعاقب عدد من السلطات السياسية تداولت على حكم أقاليمه، و قد تنوعت انتماءاتها المذهبية وتوجهاتها السياسية، ولذلك جاءت مواقفها مختلفة من المذهب المالكي بين التأييد والدعم، و مناصرة أعلامه، و بين مناهضة واضطهاد فقهاءه، وهذا ما تسعى هذه المذكرة لإبرازه والتفصيل فيه، وجاء موضوعها موسماً ب"موقف السلطة السياسية من المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي من القرن الثاني هجري إلى القرن السادس هجري"، وللموضوع أهمية بالغة كونه يزيل الستار عن فصول هامة من فصول الصراع المذهبي والفكري الذي شهدته المغرب الوسيط، ويساهم في ترتيب مراحل تشكل الهوية المذهبية لسكانه، كما يكشف عن مكان القوة في مذهب أهل المدينة، وخصائصه الأساسية، التي جعلته يصمد في وجه كل المضايقات التي اعترضت سبيله، ويظهر من جهة أخرى دور العامل السياسي وأثره في تثبيت المذهب وترسيخه في بلاد المغرب، كما يبرز الجهود الفائقة

التي قام بها فقهاء المالكية في الدفاع عن مذهبهم، والذب عنه ومناصرتهم، بمختلف الوسائل الممكنة التي أتاحت لهم.

كان اختيارنا للموضوع استجابة لعدة دوافع ذاتية وموضوعية منها تلك المتعلقة بارتباطنا بالمذهب المالكي كعنصر أساسي من عناصر شخصيتنا المغربية، والشغف لمعرفة وفهم أهم النقاط التي بنى عليها الموقف السياسي، مؤيدا كان أو معارضا، بالإضافة إلى إيضاح أهم المراحل التي مر بها المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، وتقصي الحقائق التاريخية التي عرقلت انتشار المذهب و تطوره خلال الفترة المدروسة، وبغية الاطلاع على حيثيات الأحداث الحاصلة آنذاك التي لقي صداها إلى اليوم حيث كان لها دور فعال على واقع المغرب الإسلامي الراهن بالإضافة إلى أن دراسة هذه الفترة بمعطياتها السياسية والفكرية التي تعطي فكرة أصيلة ومتجددة عن العوامل و الأسباب، التي ساهمت في صنع التوجه المذهبي لأهل المغرب، وكذلك رغبة في معرفة الإسهامات، الحضارية لهذه المدرسة في ترسيخ المذهب المالكي في أوساط المغاربة، والقضاء على العراقيل التي تقف في وجهها على سبيل المثال القضاء على أفكار المذاهب والفرق المناوئة لها التي وجد أصحابها في بلاد المغرب الإسلامي تربة خصبة لنموها وانتشارها.

على الرغم من تقدم العديد من الدراسات التاريخية التي تبحث في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، والتي شملت مجالات عديدة، ولكن لم تختص في موقف السلطة السياسية منه، إذ أن هذا الموضوع لم ينل قسطا وافرا من البحث والتنقيب، ومن بين الدراسات التي تم الاستفادة منها:

تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، لمحمد بن الحسن شرحبيلي الذي أفادنا في معرفة إنتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي وموقف بعض الدول منه.

المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري_ الحادي عشر ميلادي، لنجم الدين الهنتاتي، استفدنا منه في التعرف على المذهب المالكي وتطوره بالمغرب الإسلامي.

دراسة أسامة عبد الحميد حسين، فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الذي استفدنا منه في تسليط الضوء على دور الفقهاء المالكية في الدولة المرابطية.

ويونس بحري، الفقه المالكي في عصر الموحدين دراسة تاريخية واجتماعية، التي أفادتنا في معرفة موقف الدولة الموحدية من المذهب المالكي، ومحاربتها لعلم الفروع.

ودراسة لخضر بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية، ساعدنا في التعرف على مظاهر الحضور السياسي المالكي في البلاط الموحدية.

وقد تمحورت عناصر الموضوع حول إشكالية رئيسية هي: كيف تعاملت السلطات السياسية المختلفة مع المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي من القرن الثاني هجري إلى القرن السادس هجري؟

و تفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات أهمها: ما هي الدوافع السياسية و الخلفيات المذهبية المتحكمة في موقف السلطة السياسية من المذهب المالكي؟ وما هي أساليب الدعم أو الاضطهاد التي تعاملت بها هذه السلطة مع المذهب؟ وفيما تمثلت مظاهر التسامح؟ و إلى أي مدى تمكن المذهب المالكي من الصمود و الانتصار رغم ما شهدته من إضطهادات و تحديات سياسية ومذهبية؟ وما هي جهود فقهاء المذهب المالكي في ترسيخ أصول مذهبهم ونشره في مجتمع المغرب الوسيط؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات و أخرى، اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي المنهج الذي لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، و قد كان ذلك خاصة في تحليل المواقف التي تبنتها السلطة السياسية اتجاه المالكين بالمغرب.

و لهذا توجب علينا تقسيم بحثنا إلى:

_مقدمة: تطرقنا فيها للتعريف بالموضوع والأسباب اختياره، مع طرح إشكالية وبعض التساؤلات، والخطة المراد من خلالها معالجة الموضوع، ثم المنهج المتبع والدراسات السابقة، لنتهي إلى عرض أهم المصادر والمراجع، والصعوبات التي واجهتنا خلال بحثنا.

_المدخل: بعنوان المذهب المالكي وانتشاره بالمغرب الإسلامي، والذي نعرض فيه عدة نقاط، احدهما حول التعريف بالمذهب المالكي و مؤسسه، وأخرى حول العوامل المساعدة على انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي.

_ الفصل الأول: تضمن الدول التي عارضت المذهب المالكي، و أهم الخطط والمواقف التي تبنتها و استعملتها اتجاهه.

_الفصل الثاني: فخصص للدول التي أيدت و تبنت المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، مع تسليط الضوء على أهم نتائج التأييد التي حظي بها المالكية.

_الفصل الثالث: فكان عبارة عن انتصارات المذهب المالكي، في العديد من المجالات كالقضاء، التدريس، والتأليف والفتاوى.

في ما يخص المصادر و المراجع، فإننا عملنا قدر الإمكان على أن تكون المصادر والمراجع المعتمدة متنوعة ومتعددة و ذلك من أجل الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، وإخراجه في شكل متكامل العناصر إلا أنه يلاحظ أن هذه المصادر و المراجع بينهما قدر مشترك، من حيث المواضيع التي تناولتها وطرق معالجتها لذا سوف نركز خلال عرضها لإبرازها على الأهمية التي تميز كل مؤلف عن غيره، كما يتبين من خلال ما يأتي:

1_كتب الطبقات:

— رياض النفوس في طبقات علماء افريقية وزهادهم ونساکهم، وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، للمالکي عبد الله بن محمد، في جزئیه الأول و الثاني ، الذي ساعدنا في معرفة الصراع الحنفي المالکي، وأهم المنظرات الفقهيّة، كما ساعدنا في إعطاء ترجمة لبعض الفقهاء المالکية،

— ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالک، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ-1149م)، بأجزائه السبعة، كما ساعدنا في معرفة أهم الفقهاء المالکية و أبرز مصنفاتهم، إذ يعد من أهم المصادر حيث أثنى البحث بمعلومات في بعض المسائل و القضايا لم يتطرق إليها غيره من أصحاب الطبقات و التراجم.

— طبقات علماء إفريقية و قضاة قرطبة، أبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت 361هـ-971م)، حيث تم الاعتماد بوجه خاص على الجزء الخاص بعلماء أفريقية و الذي تم من خلاله تسليط الضوء على الصراع الذي دار بين فقهاء و علماء الأحناف و فقهاء المالکية.

— ديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب المالکي، لابن فرحون ابراهيم بن علي المالکي(799هـ)، أفادنا في التعريف بالإمام سحنون و دوره في نشر المذهب المالکي ، وذكر أهم فقهاء المالکين في القيروان.

— وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، لابن خلکان أحمد محمد (ت981هـ) الذي أفادنا في ترجمة بعض الشخصيات البارزة، مثل الأمراء.

— غاية النهاية في طبقة القراء، للجزاري شمس الدين محمد ، (ت832هـ-1428م) في ، وهو بدوره أمدنا بمعلومات حول أهم المدرسين المالکية.

2_ كتب الجغرافية:

أفادنا هذا الصنف من المصادر في وصف، وتحديد بعض المدن مغرب الإسلامي، من الكتب التي اعتمدنا عليها في هذا المجال، كتاب وصف إفريقيا، لأحمد بن أبي يعقوب (428هـ-897م)، والمغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، لأبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري القرطبي (ت487هـ-1094م).

3_ كتب التاريخ:

_ العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر، ابن خلدون، عبد الرحمن(ت732هـ_1332م)، أفادنا في معرفة عوامل انتشار المذهب المالكي و سيادته.

كما الاعتماد على مجموعة من المصادر، في ذكر موقف السلطات السياسية و لعل من أهمها:

_ البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ابن عذاري المراكشي (ت712هـ_1312م)، وأخبار الأئمة الرستمين، للمالكي ابن الصغير، تاريخ افريقية والمغرب، الرقيق القيرواني، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبي زرع الفاسي،.

3_ كتب الفتاوى والنوازل:

من أهم المؤلفات في هذا الصنف من المصادر التي أفادتنا في هذا البحث : كتاب الأجوبة لمحمد بن سحنون، فتاوى ابن أبي زيد القيرواني الذي قام بجمعها حميد محمد لحر، من أجل تسليط الضوء على القضايا المتعلقة بإسهامات فقهاء المالكية في تنظيم شؤون الحياة.

_ كتاب معيار المعرب وجامع المغرب في فتاوى علماء افريقية، للونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي التلمساني(ت914هـ/1508م)، والذي تم الاعتماد عليه في الفتوى وأهم الفتاوى المالكية.

4_المراجع:

تم الاعتماد على مجموعة من المراجع في إبراز مراحل انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، مع التعريف و إبراز تطوره، ومدى توسعه و من أهمها :

_ المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، نجم الدين الهنتاتي.

_ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، الشرحبيلي محمد بن الحسن.

_الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر ميلادي لبشير رمضان التليسي.

_ الدولة الفاطمية، للصلاحي علي محمد، الذي أفادنا في الدولة الفاطمية، في أهم طرق التنكيل التي تلقاها المالكين على يد العبيدين.

_ قيام دولة المرابطين، لحسن أحمد محمود، الذي ساعدنا في معرفة موقف الدولة المرابطية من المذهب المالكي.

5_المراجع الأجنبية المعربة:

_ الدولة الصنهاجية، للهادي روجي إدريس، بجزأيه، وقد استفدنا منه على وجه الخصوص من الباب الذي خصه للحياة الدينية لدولة بني زيري، ودولة بني حماد.

6_رسائل جامعية:

_ الحياة العلمية في إفريقيا المغرب الأدنى منذ اتمام الفتح حتى القرن الخامس الهجري، يوسف بن أحمد حواله، بجزأيه الذي تم الاعتماد عليه في انتشار المذهب المالكي في افريقية.

__ الفقه المالكي في دولة الموحدين، يونس بحري، تم الاعتماد عليه في معرفة موقف الموحدين من المذهب المالكي، وانتصاره عليهم.

7_الدوريات:

تم الاعتماد على بعض المقالات ومن بينها، تراث المالكي الذي تم الاعتماد عليه في بروز الحديث في المغرب الإسلامي، ومقالة صمود المذهب المالكي الذي تم الاعتماد عليها في الكثير من الأمور نت أبرزها موقف الفاطميين، وبرز الحديث.

__ المذهب المالكي و السلطات المتعاقبة في الجزائر، الفلوسي مسعود بن موسى، أفادنا في موقف الدول التي كانت بالمغرب الأوسط.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في كتابة هذا الموضوع، فهي عقبات تواجه أي باحث في الحصول على المصادر و المراجع و التعامل مع مادتها العلمية، خصوصا و أن طبيعة الموضوع تفرض علينا قدرا من الموضوعية، لاستخلاص الحقائق التاريخية، من المصادر و المراجع تختلف انتماءات أصحابها السياسية و المذهبية، وكذلك تركيز المصادر على تناول أحداث تاريخية التي شاهدها افريقية و الأندلس، وترجمة لرجال العلم بها، وإهمال ذلك عند الحديث عن باقي أنحاء المغرب الإسلامي.

مدخل:

المذهب المالكي وانتشاره

بالمغرب الإسلامي

1_تعريف المذهب المالكي:

أ_ المذهب لغة: هو مشتق من فعل ذهب، ذهابا، ذهوبا، و مذهبا، وهو في الأصل فعل من الذهاب، وهو لغة: الطريق ومكان الذهاب يقال: ذهب القوم مذاهب شتى، أي ساروا في طرق مختلفة.¹

ب_ المذهب اصطلاحا: هو حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية، وبهذا التعريف يكون مذهب مالك: " ما ذهب إليه الإمام من الأحكام معتمدة كانت او لا"

أو ما اختص به من الأحكام الشرعية الفرعية، الاجتهادية، و ما اختص به من أسباب الأحكام، و الشروط، و الموانع، و الحجاج المثبتة لها.²

2_الإمام مالك بن أنس:

أ_ تعريف الإمام مالك:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث، بن غيمان، ابن عمر بن ذي الأصبح الأصبحي³ ذو أصبح من حمير حليف تيم بن مرة بن قريش،⁴ إمام دار الهجرة بالاتفاق، و

¹ _ عمر الجديدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د ط، 1993، ص9.

² _محمد إبراهيم علي، اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة_ دبي، ط 1، 1421هـ_ 2000، ص22.

³ _ أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج، إحسان عباس، دار صادر، بيروت -لبنان-، د ط، مج4، ص135.

⁴ _القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان_، ط1، 1418هـ_1998م، ج1، ص51.

مفتي بالحجاز بالأطباق، فقيه الأمة وسيد الأئمة،¹ اختلف في مولده الكثير من المؤرخين وكانت السنة التي ولد فيها تتراوح ما بين سنة تسعين وتسعة وتسعين للهجرة، فعلى حد قول ابن فرحون

و المالكي، أن الأشهر في قول مولد مالك هو قول يحيى بن بكر أنه سنة ثلاث وتسعين من الهجرة،² أما وفاته فكانت على حد قول ابن خلكان: في شهر ربيع الأول سنة تسع و سبعين ومائة رضي الله عنه، فعاش أربعاً وثمانين سنة.³

كان لمالك رضي الله عنه إبنان يحيى ومحمد وابنة اسمها فاطمة زوج ابن أخته إسماعيل بن أبي أويس،⁴ لقد اشتهر مالك وذاع صيته وحبذت فرقته بين المسلمين في كل مكان وسلطة عليها الأضواء حتى قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم، تنبأ و بشر به،⁵ قال الإمام الشافعي رحمه الله "كان مالك بن أنس شديد الهيمنة، كثير الصمت لا يكاد يتكلم إلا أن يسأل، وربما سئل فصمت كثيراً حتى يتوهم السائل أن لا يحس، ثم يجيبه بعد مدة، فإذا أجاب فرح السائل بجوابه، وستغنمه فمن هيئته يسكت."⁶ وقد ذاع صيته في جميع الأقطار، وطبق شهرته الأفاق فارتحل إليه الناس من كل فج، وكانوا يزدحمون على بابه ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم، ومكث يفتي الناس ويعلوهم نحواً من سبعين سنة، واتفقوا على إمامته

¹ _ أبي زكريا يحيى بن إبراهيم السلماني، منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، تح، محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، ط1، 1422_2002، ص181.

² _ إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح، مأمون محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط1، 1417هـ _ 1996، ص58.

³ _ ابن خلكان، المصدر السابق، ص137.

⁴ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص58

⁵ _ صالح الورداني، فرق أهل السنة جماعات الماضي و جماعات الحاضر، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، ط1، 1424هـ، ص126.

⁶ _ الطاهر الأزهر خديري، المدخل الى موطأ مالك بن أنس، مكتبة الشؤون الفنية، الكويت، ط1، 2008، ص24.

وجلالته، ودينه وورعه، و أثنى عليه الكثير من بينهم الشافعي والليث بن سعد، و غيرهم لشدة تقواه، وعلمه.¹

ب_ طلبه للعلم و أهم شيوخه:

نشأ مالك في وسط علمي أديبا مدركا: وأخذ العلم عن مائة من هؤلاء العلية، لقد أخذ من كل المناهج الفكرية، حتى أنه كان يغشى مجلس الإمام الصادق جعفر بن محمد، وقد كان حريصا على أن يجمع كل ما في المدينة من آثار الصحابة و فتواهم و أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، و قد لازم ابن هرمز، ولم يقطع نفسه عن بقية علماء المدينة،² وكان شيخه في الفقه ربيعة بن فروخ المعروف بريعة الرأي وروى عن: ابن شهاب الزهوي أحد من الفقهاء المحدثين، و عن نافع مولى ابن عمرو و هشام بن عروة و عبد الله بن دينار و يحيى بن سعد،³ كما أخذ من أبو الزناد و عبد الله بن ذكوان كنيته أبو عبد الرحمن.⁴

ج_ مؤلفاته:

إن الإمام مالك صنف كتبا متعددة غير الموطأ،⁵ من أشهرها رسالته في القدر و الرد على القدرية، و هو من خيار الكتب الدالة على سعة علمه، و منها كتابه في النجوم، و حساب مدار الزمان، و منازل القمر، و من ذلك رسالته في الأفضية: كتب بها الى بعض القضاة، و رسالته المشهورة الى هارون الرشيد في

¹ _ محمد علي الساسي، تاريخ الفقه الإسلامي، اعتنى به و ضبطه محمد فاضلي، دار المدار الإسلامي، بيروت _ لبنان _ ط1، 2000م، ص ص 154 155.

² _ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، 2009، ص 195.

³ _ رمضان علي السيد الشرباصي، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، دار الجامعية للطباعة و النشر، الإسكندرية، ط3، 2000، ص 121.

⁴ _ محمد المختار محمد المامي، المذهب المالكي مدارسه و مؤلفاته خصائصه و سماته، مركز الزايد للتراث و التاريخ، دولة الإمارات المتحدة، ط 1، 1422هـ _ 2002م، ص 40.

⁵ _ محمد إبراهيم علي، المرجع السابق، ص 43.

الآداب و المواعظ، وكتابه في التفسير لغريب القرآن الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي،¹ ومن أهم مؤلفات مالك بن أنس نجد كتابه المشهور الموطأ حيث ذكر ابن الهباب أن مالكا روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب و السنة ويختبرها بالأثار حتى رجعت الى خمسمائة، وقال أبو بكر الأبهري جملة ما في الموطأ من الأثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن الصحابة والتابعين 1720 حديثا المسند منها 600 و المرسل 228 والموقوف 613 ومن قول التابعين 285،² والموطأ لغة: هو المنقح، ولبت ينقح فيه، سنين عددا.³

3_عوامل انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي:

ما هو معروف تاريخيا أن المذهب الحنفي، كان أسبق المذاهب دخولا الى بلاد المغرب الإسلامي و ظل المذهب معمولاً به من الزمان،⁴ "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها مذهب الكوفيين...."⁵ ثم دخل المذهب المالكي بعده الى المغرب عن طريق الحجاج وطالبي العلم،⁶ وعرف انتشارا في هذه البلاد، فمن بين العوامل المساعدة على انتشار المذهب المالكي في ربوع المغرب الإسلامي:

¹ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص45.

² _ محمد بن محمد المخلف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة، 1349هـ، ج1، ص 499

³ _ عبد الرحمن الشراوي، أئمة الفقه التسعة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م، ص 86.

⁴ _ عمر الجيدي، المرجع السابق، ص13.

⁵ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص12.

⁶ _ حسن علي حسن، حضارة الإسلام في المغرب و الأندلس " عصر المرابطين و الموحدين"، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980،

أ_ شخصية مالك بن أنس رضي الله عنه: والتي كان لها بالغ الأثر على المغاربة، و ذلك لأخلاقه واهتمامه بالطلبة المغاربة،¹ فقد افتتن به أهل المغرب و اقتدوا به في كل شيء حتى في أحواله الخاصة: بمعاشه و لباسه، و هندامه، و جلوسه للاستماع،² فلقبوه بالإمام و إمام دار الهجرة و غرسوا ذلك في نفوس تلامذتهم الذين اقتفوا آثارهم في الرحلة الى المشرق للقاء أعلام المالكية في الحجاز و مصر من أمثال: ابن القاسم و أشهب وابن وهب، وابن عبد الحكم.³

ب_ الحركة العلمية لرواد المدرسة المالكية: حيث اتصفوا بالاهتمام بنشر العلم و صون أمانته،

و السعي لبلوغ ذرى تطبيقه أحكاما و روحا.⁴

ج_ دعم السلطات السياسية للمذهب المالكي في المغرب الإسلامي⁵: و الذي تمثل في إلزام بعض الحكام للرعية، في إتباع المذهب المالكي و نذكر أمثلة على ذلك: أن المعز قد حمل أهل المغرب اعتناق المذهب، يذكر البكري في هذا الصدد: " فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس_ رضي الله عنه_، و حسم مادة الخلاف في المذاهب."⁶

¹ _ أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش، مر محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت_ لبنان_، ط2، 1414هـ/1994م، ج1، ص152.

² _ عبد الرحمن النجدي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة الناشر، دمشق_ سوريا_، ط1، 1426هـ/2005م، ص41.

³ _ محمود اسماعيل، محنة المالكية في إفريقية المغربية رؤية اجتماعية، مغربيات دراسة جديدة، دن، فاس، دط، 1977، ص58.

⁴ _ محمد بن الحسن الشرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، مطبعة فضالة، المحمدية_ المغرب_، دط، 1421هـ/2000م، ص46.

⁵ _ صحراوي خلواتي، أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، مجلة الفقه و القانون، معهد العلوم القانونية و الإدارية، المركز الجامعي، سعيدية-الجزائر_، ص 03.

⁶ _ ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص 234.

كذلك عندما قامت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، دعمت ووطدت للمذهب المالكي،¹ حيث أن إدريس الأول عندما أسس هذه الدولة، ذكر لهم فضل مالك - رضي الله عنه - و مزيته على العلم.²

د- جهود ومواقف الإمام سحنون³: الذي حمل لواء المذهب المالكي بإفريقية،⁴ وبالأخص بعد تأليفه المدونة التي اعتمدها عليها علماء الفقه بالمغرب الإسلامي.⁵

هـ- تشابه البيئة المغربية و الحجازية: فبين بلاد الحجاز و بلاد المغرب تشابها ملفقا لاسيما في المناخ و طباع الناس.⁶

و- رحلة طلاب العلم الى المشرق: حيث يذكر ابن خلدون: "كما أن رحلتهم كانت في الغالب الى الحجاز وهو منتهى سفرهم،"⁷ وأخذ العلم عن عالم المدينة، والتي كان إمامها مالك بن أنس - رضي الله عنه -،⁸ وقد بلغ عددهم حسب رواية القاضي عياض 30 رجلا" قال محمد بن الحارث: كانت إفريقية،

¹ - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص464.

² - مسعود بن موسى فلوسي، المذهب المالكي و السلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية، مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، 200م، العدد الأول، 2004، ص69.

³ - محمد بن الحسن الشرحبيلي، المرجع السابق، ص، 46.

⁴ - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس هجري، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م، ص 12

⁵ - حسين السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 1406هـ/1986م، ص 130.

⁶ - صحراوي خلواتي، المرجع السابق، ص 03.

⁷ - عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون المقدمة، تق عبد الهادي بن المنصور، عبد القادر بوزيدة، ج3، ص 214.

⁸ - محمد بن الحسن الشرحبيلي، المرجع نفسه، ص44.

قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك بن أنس، لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلا، كلهم لقي مالك بن أنس، وسمع منه و إن كان الفقه و الفتيا إنما كان في قليل منهم.¹

4_ انتشار المذهب المالكي بالمغرب الأدنى:

في الحقيقة ان الفضل في دخول المذهب المالكي، يعود الى تلك الطبقة من أبناء إفريقية الذين رحلوا الى مدينة وقابلوا شيخ المذهب نفسه، و سمعوا عنه وتأثروا به، ثم عادوا الى بلادهم ينشرون مذهب مالك،² وعلى أيديهم بدأت المالكية في المغرب تاريخها الطويل لأنها لم تكن مجرد مذهب فقهي، بل كانت عنصرا حضاريا له أثره في كل نواحي الحياة في المغرب الإسلامي،³ ومن الأسماء التي كان لها الفضل في دخول المذهب الى إفريقية علي أبي الحسن علي بن زياد،⁴ ذكر الشرحبيلي عنه: أن ابتداء دخول علم مالك الى إفريقية كان على يد أبي الحسن علي بن زياد،⁵ وقد روى عن مالك و الليث، و طبقتهما و سمع عنه أسد بن الفرات وسحنون وعليه تعلموا الفقه، و لم يكن في إفريقية مثله في زمنه،⁶ و في الحقيقة هو مؤسس المدرسة التونسية بأجل مظاهرها، التي لا تزال الى اليوم ممتدة الفروع،⁷ ويذكر المالكي و القاضي عياض:

¹ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص45.

² _ يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية" المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن الخامس الهجري"

90هـ_450هـ، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، 1429هـ/2000م، ج1، ص 275.

³ _ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، دم، دط، 2004، ص 41.

⁴ _ أصله من العجم، ولد بطرابلس ثم انتقل الى تونس، قال أبو العرب: "كان ثقة مأمونا متعبدا زاهدا، بارعا في الفقه، سمع من مالك والثوري و الليث و ابن لهيعة، توفي 183هـ.

⁵ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 33.

⁶ _ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة نهضة الجزيرة، تونس، دط، دس، العدد

11، ص216.

⁷ _ محمد إبراهيم علي، المرجع السابق، ص 73.

أنه أول من أدخل المغرب جامع سفيان الثوري، وموطأ مالك، وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه،¹ وكانت عودته من المشرق بعد سنة 144هـ²

فكان معه في رحلته رفيقاه عبد الله بن غانم،³ سمع من مالك بن أنس و هو من أقران ابن أبي حازم، ونظرائه،⁴ وكان ممن أسهم في نشر المذهب المالكي و تثبيته في بلاد المغرب بالتصدي للتدريس قواعده، و أصوله، و كان أحد المتعصبين للإمام مالك و منهجه،⁵ فقال عنه القاضي عياض: " ودخل الى الحجاز و الشام و العراق، فسمع من مالك، و عليه اعتماده و من سفيان الثوري، و من أبي يوسف و عثمان بن الضحاك و غيرهم"⁶، و عبد الله بن فروخ الفارسي،⁷ فقد رحل الى المشرق في طلب العلم، فأخذ عن مالك بن أنس، و سفيان الثوري، و زكريا بن الزائدة أحد الفقهاء التابعين،⁸ وكان مالك يكرمه ويرى له فضلا ويقول لأصحابه " هذا فقيه أهل المغرب"، فلما رجع الى إفريقيا، فأوطنها وأقام بها يعلم الناس و يحدثهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.⁹

¹ _ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص177.

² _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 35

³ _ هو عبد الله بن غانم بن شراحيل بن توبان بن محمد بن شريح بن شراحيل ولد سنة 128هـ، ولي قضاء إفريقية سنة 171هـ، وتوفي

290هـ. ينظر المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 215، و القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 179

⁴ _ أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء، تح إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، دط، 1970، ص 50.

⁵ _ يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 277.

⁶ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 179.

⁷ _ كان فاضلا صالحا متواضعا في نفسه، ولد بالأندلس سنة خمس عشر و مائة، ثم سكن بالقيروان وأوطنها ثم رحل الى المشرق

فلقي من ذكرنا ونفعه الله وجل، ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص177.

⁸ _ محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، شارع الباب الأخضر_ القاهرة_، ط1، 1988، ص201.

⁹ _ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 177.

ومن الأسماء الغير متداولة من هذه الطبقة نذكر أبا سليمان محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي، و محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي، و هما من سمع من الإمام مالك و روي عنه،¹ فعلى الرغم من الجهود التي بذلها شيوخ الطبقات الأولى في ترسيخ أقدم المذهب المالكي بإفريقية، إلا أنه تعثر انتشاره وذلك بسبب الصراع المذهبي، بين المذهب المالكي و المذهب الحنفي، وذلك خلال عصر الولاية بني العباس على إفريقية، فهنا نذكر شخصية قد عانت من وراء هذا الصراع المذهبي، وهو البهلول بن راشد،² عند عودته سمع منه جلة العلماء في القيروان سحنون بن سعيد، يحيى بن سلامة، وعون بن يوسف، و أبو زكريا الحفري.....³ قال عنه سحنون: كان البهلول رجلا صالحا، ولم يكن عنده من الفقه عند غيره، وإنما اقتديت به في ترك السلام على أهل الأهواء،⁴ حيث أقدم آخر ولاية بني العباس محمد بن مقاتل العكي، على ضربه بالسياط، وتسبب في قتله بسبب وعظه له،⁵ و كان ضربه بسبب موقف من المواقف الدينية، يتعلق بالسياسة الشرعية، و ذلك سنة 183هـ وعلى إثر هذه الحادثة الشنيعة عزله هارون الرشيد عن الولاية، و ولى مكانه جد الأغالبة إبراهيم بن الأغلب بن سالم،⁶ فكان رحمه الله تعالى في زمان محمد بن مقاتل العكي، وكان يلاطف الطاغية ويبعث إليه بالألطف، و يكافئه الطاغية، فكتب الطاغية الى العكي أن يبعث إليه بالنحاس والحديد والسلاح، فلما عزم العكي على ذلك، و أن يبعث إليه بما طلب، لم يسع البهلول السكوت فتكلم وعارض العكي، و وعظه لتزول عنه الحجة من الله عز وجل،

¹ _محمد أو أدير منسان، المدارس الفقهية المالكية قراءة النشأة و الخصائص , مجلة الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا و تدريسا،

بحوث الملتقى الوطني ، زاوية الشيخ الكبير بأدرار، 10_11 رجب 1431هـ / 23_24 جوان 2010م، ص 22.

² _هو البهلول بن راشد الحجري الرعيني، كان مولده و مولد عبد الله بن غانم في سنة واحدة، سنة ثمان و عشرين و مائة، توفي سنة ثلاث و ثمانين و مائة، دفن بباب السلام. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

³ _محمد محمد زينون، المرجع السابق، ص 205

⁴ _القاضي عياض، المصدر السابق، ص 188.

⁵ _ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب للجامعة، الإسكندرية، 2011، ص 276.

⁶ _الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 32

فلما ألح عليه في ذلك بعث العكي إليه فضربه،¹ و مات البهلول سنة ثلاث و ثمانين ومائة، و قال لي فرات أنه مات سنة اثنين وثمانين ومائة.²

5_ انتشار المذهب المالكي في المغربين الأوسط و الأقصى:

أما فيما يخص بداية دخول المذهب المالكي الى المغربين الأوسط و الأقصى، فلم يكن معلوما كما رأينا سابقا في إفريقية، و هذا لأن هذا الجزء قد اكتنف تاريخه الكثير من الغموض و الابهام في القرون الثلاثة الأولى، من دخول أهله الإسلام، و خصوصا المغرب الأقصى، وهذا طبيعي إذ هو أقصى نقطة من الجناح الإسلامي الغربي، كما أن انتشاره في هذه الرقعة الإسلامية كان حسب الفترات و المناطق و الدول التي تولت حكم المغرب الأقصى،³ و من العوامل المساعدة على انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى:

أ_ الهجرة: هجرة عناصر عربية الى فاس انطلاقا من إفريقية ، والأندلس⁴ فنذكر الفقيه الصالح الولي الورع جبر الله بن القاسم الأندلسي نزيل عدوة الأندلسيين من فاس، وهو من أدخل علم مالك إليها.⁵

ب_ رحلة طلاب العلم: الى القيروان أو المشرق فمن بينهم أبو محمد عبد الله بن محمد الهواري الذي رحل الى القيروان، و لقي ابن أبي زيد القيرواني، و شاهد تأليفه للنوادر،¹ و ذكر القاضي عياض رواية

¹ _ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص، 212.

² _ أبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، عنى به وصححه السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415هـ/1994م، ص91.

³ _ الشرحيبي، المرجع السابق، ص ص 56 57

⁴ _ نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي الى منتصف القرن الخامس هجري _ الحادي عشر ميلادي، تبر الزمان، تونس، دط، 2004م، ص 129.

⁵ _ علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص

أورد فيها أن شخص من أهل المغرب الأقصى رحل الى مالك، و شكاه له الأهواء، التي كثرت بين قومه، ولكنه لم يذكر اسم الشخص، ولم يحدد منطقته، قال إسحاق بن عيسى: رأيت رجلا من أهل المغرب جاء مالك بن أنس فقال: أن الأهواء كثرت قبلنا فجعلت على نفسي، إن أنا رأيتك، أن آخذ بما تأمرني به، فوصف له مالك شرائع الإسلام: الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج، ثم قال: خذ بها ولا تخاصم أحدا² إلا أن عمر الجيادي نفى أن يكون المغربي من المغرب الأوسط أو الأقصى، فالمغرب في عرف زمانه كان يطلق المغرب الإسلامي بكامله، ويبعد أن يكون مغاربة المغربين الأوسط و الأقصى قد أخذوا عن مالك، لأن الجو لم يكن مهياً في بلدهم للرحلة أولاً، و لأن الثقافة لم تكن قد استقرت فيهما، كما كان الشأن بالنسبة لإفريقية و الأندلس،³ كما عرف المغرب الأقصى تعدد المذاهب منها: خارجية، و معتزلة، و حنفية،⁴ و استمرت هذه التعددية الى أن قامت دولة الأدارسة، فلما أسس إدريس بن عبد الله دولة الأدارسة في المغرب، ذكر لهم فضل مالك ومزيتته في العلم،⁵ فقد اتصف الأدارسة بالاعتدال من الناحية المذهبية، مما ساهم في توسيع انتشار المذهب المالكي بشمال المغرب الأقصى.⁶

¹ _الھنتاتي، المرجع السابق، ص 129.

² _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 2، ص 47.

³ _ عمر الجيادي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 1993، ص 19.

⁴ _ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتو الأستاذ جعفر الناصري ومحمد

الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1418هـ/1997م، ص ص 192 193.

⁵ _ مسعود فلوسي، المرجع السابق، ص 25.

⁶ _الھنتاتي، المرجع السابق، ص 129.



الفصل الأول

لقد توالى على المغرب الإسلامي العديد من الدول ذات اتجاهات مختلفة، وكل دولة حاولت التمكين لفكرها بمختلف الوسائل وهي: دولة الأغالبة، الدولة الفاطمية، دولة بني زيري والدولة الموحدية.

المبحث الأول: الأغالبة بين تهميش واستمالة الفقهاء.

1_ قيام دولة الأغالبة:

شهد المغرب الإسلامي منذ أواخر القرن الثاني هجري، قيام دويلات مستقلة في سائر أجزائه، ففي المغرب الأدنى قامت دولة الأغالبة،¹ فسميت بهذا الاسم نسبة الى عميد الأسرة وهو الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي،² وترجع أسباب تأسيسها الى تسيير محمد بن مقاتل العكي، الوالي الذي عينه الخليفة العباسي هارون الرشيد، فقام الخليفة بعزله و عين إبراهيم بن الأغلب،³ مكانه في محرم 184هـ/800م، على أن تكون ولايته وراثية،⁴ ويذكر الرقيق القيرواني في هذا الصدد: " فلما ولي إبراهيم انقمع الشر بإفريقية، وضبط أمرها، وأحسن الى من بها من أهل الشر،"⁵ وقد حكم إفريقية من آل الأغلب احدى عشرة أميرا، أولهم إبراهيم بن الأغلب وأخروهم زيادة الله الثالث،⁶ كما أن قيام هذه الدولة، جعل لإفريقية وأهلها شخصية مميزة و فريدة تختلف كل الاختلاف عن بقية بلدان المغرب،⁷ وقد

¹ _ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 287.

² _ نحلة شهاب أحمد، تاريخ المغرب العربي، دار الفكر، عمان، ط 1، 2010، ص: 176.

³ _ هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، كان فقيها، أدبيا، شاعرا، خطيبا، ذا رأي ونجدة، وحزم وعلم بالحروب، ومكايدها، لم يل إفريقية أحسن سيرة منه، توفي في أواخر شوال سنة 196هـ، وعمره ستة وخمسون. ينظر، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983، ج 1، ص 54.

⁴ _ عبد السلام الترماني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، دار طلاس، دمشق، دط، 1992، ج 2، ص 48.

⁵ _ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، ط 1، 1994، ص 133

⁶ _ هو أبي مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم توفي سنة 303هـ. ينظر: المسعودي، أبي عبد الله الشيخ محمد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار بنهج أنيبال، تونس، ط 2، 1323، العدد 4، ص 35.

¹ _ ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تح محمد زينهم، مكتبة مديولي، القاهرة، ط 1، 1988، ص 36.

كان سقوط الأغلبة على يد الفاطميين الذين قضوا على هذه الدولة، وبسطوا نفوذهم على المغرب الإسلامي.

2_مرحلة استقرار المذهب المالكي على عهد الأغلبة:

تزامن وجود المذهب المالكي والمذهب الحنفي، في المغرب الأدنى خلال القرن الثاني هجري وكانت العلاقة بينهما مسالمة،¹ وقد كان الفقهاء المالكية رؤساء الناس، والمتحدثين باسمهم أمام الحكام لأن بني الأغلب، لم يختلطوا بالبربر وانعزلوا في مدتهم المملوكية ولا يتصلون بالعامّة، كما كانوا في الغالب يكرهون التردد على الحكام و مجالستهم لأنهم في نظرهم أصل الظلم، ولا يتقون الله في القول والعمل لذلك كرهوا منصب القضاء، الذي كانت السلطات ترغمهم عليه أحيانا،² فإن قرب المذهب المالكي من الشعب، واستثاره بثقة سواده من أعظم المكاسب التي حققها أعلام المالكية وتميز عهد الأغلبة بالتناوب على منصب القضاء بين المالكية و الأحناف، وذكر الشرحبيلي أن القضاء في فترة الحكم الأغلبي كان في المالكية لا لأن الأغلبة مالكية، ولكن لاضطرارهم في الكثير من الأحيان لتهدئة الأوضاع.³

_ مكانة فقهاء المالكية في الدولة الأغلبية:

² _حفيظ كعوان، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي و الثقافي من القرن 2_5هـ/8_11م، اشراف إسماعيل سامعي، جامعة العقيدة الحاج لحظ، باتنة، 1429_1430هـ/2008_2009م، ص، 109.

³ _عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نضرة الترف، جامعة القاهرة، 1990، ص: 135

⁴ _الشرحبيلي، المرجع السابق، 105.

من بين الفقهاء اللذين شاركوا في منصب القضاء وشهدت فتراتهم هدوء واستقرار، ابن غانم القاضي،¹ الذي تولى القضاء في عهد إبراهيم ابن الأغلب، وكان ذلك سنة إحدى وسبعين ومئة، وهو ابن الاثنى عشر و أربعين سنة،² كانت له مكانة خاصة ومهمة عند الخليفة العباسي هارون الرشيد والأمير الأغلبي، فكان من إكرام الخليفة له، إذا كتب كتابا لإبراهيم ابن الأغلب، يقول له فيه: وأنا لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك كتاب الى ابن غانم، فكان إبراهيم أكثر الناس مداراة وتعظيما له،³ وذكر محمد طالبي: أن الخليفة العباسي أراد أن يقسم سلطته في إفريقية بالتساوي بين ممثليه الاثنى عشر الأمير و القاضي، ولهذا نجد نوع من النزاع المصغر على الحكم بين إبراهيم الأول و ابن غانم، كما عمل هذا الأخير على إهانة الأمير وكان يرفض مجالسته، ويتحدى سلطته،⁴ مثلا: نظر ابن غانم إلى قارورة في يد إبراهيم، فيها دهن يسير، فقال: "دهن" ثم قال للقاضي: "كم تظن يساوي هذا؟" فقال له: "يسير"، فقال له إبراهيم: فإن ثمنه كثير كذا و كذا، و ذكر ثمننا كثيرا، فقال ابن غانم: " ما هو هذا؟" فقال: " السم القاتل"، قال ابن غانم: "أرنيه" فدفع إليه القارورة، فلما أخذها ابن غانم ضرب بها عمودا كان في المجلس، فكسرها وأراق ما فيها فقال له إبراهيم: "هاه ماذا تصنع"، قال: " أفأترك معك ما يقتل الناس؟".⁵

¹ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوران الرعييني، صاحب مالك بن أنس _رضي الله عنه_، ولد سنة 128هـ، وتوفي سنة 190هـ، ودفن بباب نافع. ينظر، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص289.

² ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح و تع محمد منصور، مكتبة العتيق، تونس، ج3، ص 291.

³ _القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 69.

⁴ _محمد طالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184_ 296هـ، راجعه حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م، ط2، 1995م، ص ص: 154 156 .

⁵ _المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 224. ينظر أيضا، محمد طالبي، المرجع السابق، ص 154.

كما عين زيادة الله بن الأغلب¹ أسد بن الفرات² على القضاء الى جانب أبو محرز، يذكر الحشني: " ولم يكن ببلدنا قاضيان في وقت واحد غيرهما³، " كما أنه أوكله مهمة فتح جزيرة صقلية،⁴ فقال أسد لزيادة الله: من بعد القضاء و النظر في الحلال و الحرام تعزني و تولي الإمارة؟ فقال: لا و لكني وليتك الإمارة وهي أشرف، وأبقيت لك اسم القضاء،⁵ وهذا إن دل على شيء يدل على حسن علاقته بأميده وإضفاء صبغة الجهاد على الحملة، و الاستفادة منها لتثبيت شرعية الحكم.⁶

بالإضافة الى الفقيه الذي كان له الفضل في نشر المذهب المالكي بإفريقية بفضل كتابه المعروف بالمدونة، وهو الإمام سحنون،⁷ قال سحنون: لم أكن أرى قبول هذا الأمر حتى كان من الأمير ضمنيان: أحدهما أنه أعطاني كل ما طلبت، وأطلق يدي في كل ما رغبت حتى أتي قلت له: أبدأ بأهل بيتك وقرابتك و أعوانهم،⁸ ويذكر سعد زغلول: قبل القضاء، وهو مغلوب على أمره و ذلك لأنه لم يقبل الا بعد أن أعطاه الأمير كل ما طلب، وأطلق يده في كل ما رغبت فيه،⁹ وأهم ما ميز عصره أنه ضم وضيعة الحسبة الى

¹ _ هو أبو محمد و هو أول من اسمه زيادة الله ممن ولي من بني الأغلب، ببيع يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة توفي 223هـ، وهو ابن إحدى وخمسين سنة. ينظر، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 96 .

² _ هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، أصله من خرسان، قال سليمان بن عمران: أنه ولد بجران سنة اثنين و أربعين و مائة، وتوفي وهو محاصر لسرقوسة في شهر ربيع الثاني سنة 213هـ. ينظر، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 255.

³ _ أبي عبد الله محمد بن الحارث الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1953، ص 305.

⁴ _ ابن وردان، المصدر السابق، ص55.

⁵ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ص 305.

⁶ _ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ج2، ص 35.

⁷ _ وهو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حدين بن حسان بن هلال، بن بكار بن ربيعة التنوخي، أصله من الشام من حمص كان مولده سنة ستين ومئة في رجب، قال عيسى بن مسكين: ولد سحنون في قرية يقال لها مزناة الشرق و توفي في رجب سنة أربعين و مائتين، ينظر، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص255.

⁸ _ سعدي أبو حبيب، سحنون مشكاة نور علم وحق، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1981م، ص 56

⁹ _ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1993، ج2، ص90.

القضاء، وكان أول قضاة إفريقية الذين أشرفوا على هذه الوظيفة ولأهميتها خصصها بوالي مستقل سماه أمين السوق أو المحتسب و كانت تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.¹

كما قدم بعض الأمراء مجموعة من الترضيات للفقهاء، من بينها أن الأمير أبي العقال² قطع النبيذ من القيروان، وعاقب على بيعه وشربه،³

وهذا التحريم لإرضاء مشايخ القيروان و فقهاءها، بعد أن بعض فقهاء الحنفية يبيحونه⁴ وقد سارع زيادة الله الثالث بعزل الصديني، وتعيين حماس بن مروان " وولاه زيادة الله بن الأغلب القضاء بإفريقية، عند عزله الصديني عن قضائها"⁵ وهكذا أرضى العامة والخاصة.

3_مرحلة اضطهاد الفقهاء المالكية من طرف الأغلبية:

بالرغم مما شهدته المالكية من هدوء، واستقرار بالقيروان في بعض الفترات، الا أنها تعرضت للاضطهاد على يد الأحناف، ذلك لأن الأمراء الأغلبية الأواخر اشتروا فرض المغارم و الجبايات، فوقف لهم الفقهاء المالكية بالمرصاد متهمين إياهم بالخروج عن شرائع الإسلام عندئذ استعان الأغلبية بالأحناف، وأوكلوا إليهم أمور القضاء و الفتيا، مثل سليمان بن عمران، وابن أبي الجواد و أبو العباس محمد بن عبدون، و كان هؤلاء يستفزون مشاعر العامة و يفرضون عليهم بعض الأشياء التي تنافي سننهم مثل

¹ _ موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 1981م، ص28.

² _ الملقب بالخزرج لما ولي أمن الناس، وأحسن اليهم والى الجند، وتوفي ليلة الخميس ربيع الثاني سنة 226هـ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. ينظر، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 107، ينظر أيضا: المسعودي، المصدر السابق، ص29.

³ _ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 107.

⁴ _ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 76.

⁵ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص328.

العمل بتسليمتين في الصلاة¹، و أمعنوا في إذلال المالكية وامتحانهم²، وفي ذلك ذكر الحشني: "إن الأحناف استطالوا على طبقة المدنيين، و ضربوا جماعة منهم"³

_اضطهاد الأحناف للفقهاء المالكية:

نذكر مجموعة من النماذج التي عانت من وراء هذا الصراع: أبو الوليد عباس بن الوليد الفاسي⁴، استشهد بمدينة تونس، لقد كانت هذه المدينة أكثر المدن هيجانا، وأكثرها مناوئة للأغلبية في إفريقية بلا منازع وغالبا، ما شارك أهلها الثوار في العصيان⁵ وقد كان للفقهاء دور في تلك الثورة عن طريقهم بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر⁶ فسار إليها أبو فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب في جيش كثيف، فاستباحها وقتل فيها الفقيه عباس بن الوليد⁷، وهذا ما أكده المالكي بقوله: "استشهد بمدينة تونس لما دخلها جيش زيادة الله الأول في حرب منصور الطنبذي، وأراد استباحتها، وقتل أهلها و سبيهم، جلس في داره ولم يقاتل حتى دخلوا عليه في داره، فخرج بسيفه وهو يقول: الجهاد فقتلوه و قطع رأسه،" و بقيت جثته بحرية، لم يمسه بسوء الكلاب، ولا السباع طيلة أسبوع كامل، وقد استنكر زيادة الله الأول بعض الأعمال المفرطة كمقتل الفقيه أبو الوليد عباس بن الوليد الفارسي،" ذكر عن أبي إسحاق بن علي بن حميد قال: كنت يوما جالسا في مجلس زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، إذ دخل عليه أبو فهر بن عبدون، فأخبره بما جرى له في تونس و فتحه لها، و استيلائه عليها، ثم قال: وأعلمك

¹ _راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م، ص268.

² _محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 20.

³ _الحشني، المصدر السابق، ص 305.

⁴ _كان إمام ثقة، الأمين الحافظ للحديث، كانت رحلته مع أسد بن الفرات، وكان أحد أئمة المعدودين و العلماء الراسخين، استشهد سنة 218هـ ينظر، محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 62.

⁵ _محمد طالي، المرجع السابق، ص 240.

⁶ _سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 72.

⁷ _أ بن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 105.

أني قتلت عباس بن الوليد الفارسي، فاستعظم ذلك زيادة الله وأنكره، وقال ما حملك على ذلك، و ما دعاك لقتله وهو رجل صالح عالم؟"¹

إلا أن محمد طالبي له رأي آخر يقول فيه: إذا اعتبرنا أنه لم يكن له يد في مقتل أبو الوليد، الذي اقتترف في خضم المعركة، فلا نتصور إلا بعسر كيف أن رأس القتييل شنع به في القيروان دون رضاه، وإذا كان الندم الذي صرح به حقيقيا فإنه يبدو مكتسبا صبغة سياسية، ولا يخلو من رياء،² وقد تألم أبي الحسان اليحصبي³ كثيرا من أذاهم:

فقال في أبيات مريرة، مفعمة بالنقمة:

أباح طغام الجند جهلا حريمنا وشقوا عصا الإسلام من كل جانب

وعاثوا وثاروا في البلاد سفاهة وظنوا بأن الله غير معاقب.⁴

و نذكر كذلك الفقيه الذي عانى من سوء معاملة الأمير الأغلبي إبراهيم بن الأغلب وهو ابن طالب التميمي⁵ قال عنه ابن اللباد: " ما رأيت بعيني أفقه من ابن طالب إلا يحيى بن عمر،"⁶ لقد ولي القضاء مرتين إحداهما سنة 275هـ ثم عزل سنة 259هـ، ذكر القاضي عياض أن سبب عزله عن القضاء في المرة الأولى، " فلما رأى إبراهيم ميل نفوس الناس إلى ابن طالب، ومحبتهم له لعدله، وسماحته وعقله وحسن

¹ -المالكي، المصدر السابق، ص250.

² -محمد طالبي، المرجع السابق، ص 202.

³ -اسمه عبد الرحمن، ويقال عبد الرحمن بن يزيد وهو من أشرف القيروان، صاحب فقه وأدب، توفي سنة ست و عشرون ومئتين. ينظر، الدباغ، مصدر السابق، ص58.

⁴ - المالكي، المصدر السابق، ص 289.

⁵ -هو أبو العباس عبد الله بن طالب بن سفيان بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، ولد سنة 210هـ، ومات قتيلا سنة 270هـ. ينظر، محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 71، ابن فرحون، المصدر السابق، ص217.

⁶ -قاسم علي سعد، تراجم فقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دم، ط1، 2006م، ج1، ص693.

سيرته وعلمه، واستبشارهم بأيامه، لرخص السعر، وارتفاع الوباء، غار إبراهيم به وخشيه على ملكه لكونه ابن عمه، فرأى إماتة عزله وعزله،¹ ورد سليمان بن عمران الى القضاء، ولكن تقدم سن سليمان جعل إبراهيم بن الأغلب، يعيد النظر مرة أخرى في عزل سليمان و تولية ابن طالب،² لقد امتحن أكثر من مرة وكان السبب في تعذيبه أنه نظر الى ما شرعه إبراهيم بن الأغلب من فسوق وجور، واستطالة على المسلمين بعين سخط وعدم الرضى،³ وهذا ما أورده الخشني: أن إبراهيم بن أحمد طلب من أهل لسانة قريّة تجاور تونس— أن يبيعوها منه، فأبو عليه فقهرهم عليها، وأدخل فيها السودان، فتناول بعض السودان على بعض بنات أهلها، فقال القاضي ابن طالب: ما أظن هذا الرجل يؤمن بالله، ولا بيوم الحساب،⁴ وكان يقول في قضائه اللهم لا تمتني وأنا قاضي، فمات بعزله نحو شهر،⁵ ولما محمد بن عبدون ولي القضاء بعد موت الإمام سحنون بالقيروان ضرب طائفة من أهل العلم و الصلاح، أصحاب سحنون و طيف بهم على الجمال بغضا منهم في مذهب مالك و أصحابه منهم: أو إسحاق بن مضا وأبو زيد بن المدني فماتا على الجمال، و أحمد بن المعتب و ابن مفرج، حتى قال الأمير إبراهيم لو ساعدته فيمن يشكوه لجملت له مقبرة.⁶

¹ _القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 308.

² _ عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، دن، القاهرة، ط1، 2006م، ص 284.

³ _عمر الجيدي، المرجع السابق، ص43.

⁴ _الخشني، المصدر السابق، ص 297.

⁵ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 219.

⁶ _ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص155.

_جدل الفقهاء ومسألة خلق القرآن:

حين ظهرت فتنة القول بخلق القرآن في بغداد ما لبثت أن ظهرت في القيروان، حيث امتحنوا الناس و أزموا أئمة الجمعة بمراسم رسمية لإعلان هذا القول بين العامة في المساجد،¹ ومن العلماء الذين تعرضوا للامتحان بالقول بخلق القرآن: موسى بن معاوية² وأمتحنه ابن أبي الجواد قاضي القيروان، و كان معتزلا فسأله عن القرآن، فقال موسى: سمعت فلانا و فلانا، و ذكر جماعة من أهل العلم يقولون من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، فقال له: ابن أبي الجواد لقد أعمى الله قلبك كما أعمى بصرك،³ و قال أبو العرب: حدثني أحمد بن يزيد قال: بعث إلي ابن أبي الجواد القاضي ليستجوبني في القرآن، قال: فتواريت منه حتى عافاني،⁴ وكان سحنون قد حضر جنازة، فتقدم ابن أبي الجواد فصلى عليها، فرجع سحنون و لم يصلي خلفه، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله، فأمر بأن يوجه الى عامل القيروان، بأن يضرب سحنون خمسمائة سوط و يحلق رأسه و لحيته.⁵

يذكر حسين مؤنس: تعرض للاضطهاد من قبل زيادة الله الأول، لأن في عهده أصدرت الدولة العباسية أوامرها بامتحان الفقهاء و القضاة في قضية خلق القرآن،⁶ ودارت على محمد بن سحنون أيضا محنة سليمان بن عمران، فتوارى عنه في قضية خلق القرآن.⁷

¹ _ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها و دورهم في الذب عن مذهب السلف فيها، مكتبة التوبة، الرياض، دط، 1417هـ، ص52.

² _ أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي من ولد جعفر بن طالب ذي الجناحين. ينظر، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص376.

³ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص95.

⁴ _ الحجوي، المرجع السابق، ص52.

⁵ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص70.

⁶ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص99.

⁷ _ الخشني، المصدر السابق، ص296.

كما أشار الهنتاتي الى عاملين خاصين في إفريقية فيتعلق الأول: بأخذ الحنفية ببعض الأفكار الاعتزالية، بينما رفض المالكية ذلك، مما أثر سلبا في العلاقة بين المجموعتين، أما العامل الثاني فيتمثل في تعامل الحنفية مع الحكام من الأغلبة بتوليهم المناصب، بينما تميزت علاقة المالكية بالحكام بالتوتر، بالإضافة الى مسألة تحليل النييد لدى الحنفية و تحريمه لدى المالكية،¹ ونستدل برواية المالكي: قال فرات سمعت ابن أبي حسان يقول: دخلت على زيادة الله بن الأغلب فأصبته جالسا، وعنده ابو محرز وأسد وهما يتناظران في النييد المسكر، وأبو محرز يذهب الى تحليله، وأسد يذهب الى تحريمه، فلما جلست قال لي زيادة الله: " ما تقول يا أبا محمد؟" فقلت له: فدعمت سوء رأيي فيه، وقاضياك يتناظران/بين يديك."²

¹ _الهنتاتي، المرجع السابق، ص 114.

² _ المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 289.

المبحث الثاني: الدولة الفاطمية واضطهاد المالكية

1_ قيام الدولة الفاطمية:

مرت الخلافة الفاطمية مثل باقي الدول الإسلامية التي قامت في المغرب الإسلامي، بمرحلتين أساسيتين هما، مرحلة نشر الدعوة ثم مرحلة تكوين الدولة و إرساء المؤسسات،¹ ابتدأت الدعوة العبيدية بابي عبد الله الشيعي، و اسمه الحسن بن احمد بن محمد بن زكريا، من أهل صنعاء، وقيل من أهل الكوفة أخذ أسرار الدعوة من أبي حوشب، الذي أرسله إلى المغرب، فقدم إلى مكة أيام الحج واجتمع بجماعة من المغاربة من أهل كتامة، وقدم المغرب منتصف ربيع الأول سنة ثمانين و مائتين.²

بعد الاطمئنان أبو عبد الله الشيعي للنجاح الكبير، الذي حققته الدعوة الاسماعلية بين بربر كتامة، أراد أن ينتقل بالقضية من مرحلة الدعوة و الأعداد إلى مرحلة الموجهة المسلحة، مع القوى السياسية الكبرى في المغرب، خاصة الدولة الأغلبية،³ وصولاً إلى تحقيق الهدف المنشود، وهو إقامة الدولة الفاطمية.

لما نجح عبيد الله المهدي،¹ في الرحيل إلى المغرب وتحديدًا إلى سجلماسة، بعد أن وردت الأخبار بنجاح أبي عبيد الله الشيعي في تهيئة المناخ لحيثه، وانتهت الإمامة إلى المهدي حيث انتشر ذكره و خبره.² فبيع

¹ _رفيق بوراس، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية 296-362 هـ، شهادة لنيل الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 23.

² _ابي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية و تونس، مطبعة الدولة التونسية، الحمديّة، ط1، 1236، ص51.

³ _الظروف التي تعيشها الدولة الأغلبية، ينظر ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص، 118، 136، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج2، ص، 128، 172، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص، 320، 324

عبيد الله المهدي بيعة عامة، على منابر رقاده و القيروان يوم الجمعة في ربيع الآخر سنة 297هـ،³ حيث حكم عبيد الله المهدي خمسا وعشرين سنة هجرية (297هـ-322هـ)، وقد خلف المهدي بعد موته، ثلاثة من الخلفاء الفاطميين هم:

_القائم أبو القاسم محمد (322-334هـ)، المنصور أبو الطاهر إسماعيل (334-341هـ)، والمعز أبو تميم معد، حكم في المغرب من مستهل ذي القعدة 341هـ حتى انتقل إلى مصر سنة 362هـ وتوفي فيها ربيع الأخير سنة 365هـ⁴ فكانت مدة ملكهم مائتين و سبعين سنة، وعددهم أربعة عشر نفرا، منهم ثلاثة بالمغرب، و أحد عشر بمصر والشام.⁵

2_ سياسة الفاطميين اتجاه المذهب المالكي:

تعتبر المحنة التي تعرض لها المالكية، في أفريقيا خصوصا و المغرب عموما من أكبر المحن و أصعبها، هي جرائم اقترفها العبيديون في حقهم، باستعمال وسائل عديدة حيث حاول أبو عبد الله الشيعي في أول أمره، أن يقنع العلماء بمذهبه و يناظرهم عليه، و في هذا الإطار فقد تناظر الشيعي مع أبي عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني، فقال له: القرآن يقر بأن محمد ليس بخاتم النبيين فقال له سعيد: أين ذلك؟ فقال له: في قوله تعالى "و لكن رسول الله و خاتم النبيين،"⁶ فخاتم النبيين غير رسول الله،

¹ _هو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن سيدنا علي بن أبي طالب، وقيل كانت ولادته بسلمية، من ارض الشام في سنة 259هـ، وقيل سنة 260هـ، بالكوفة، وتوفي ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة 322هـ. ينظر، محمد الباجي المسعودي، المصدر السابق، ج1، ص38.

² _القاضي نعمان، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986، ص2، ص157 158.

³ _الحافظ ابن الكثير (ت 774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1411هـ/1990م، ص180.

⁴ _حسين مؤنس، المرجع السابق، ص180.

⁵ _أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، مج2، ص126.

⁶ _سورة الأحزاب، الآية، 40.

فقال سعيد: هذه الواو ليست من واوات الابتداء، إنما هي من واوات العطف، كقوله تعالى "وهو الأول والآخر والظاهر و الباطن، وهو بكل شيء عليم"،¹ فهل من أحد غير الله يوصف بهذه الصفات، وتكلم عنده يوماً، فغضب من كلامه رجل من كتامة يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ وقام إليه بالرماح فمنعه أبو عبد الله من ذلك ثم عطف إلى أبي عثمان فقال له: يا شيخ لا تغضب، إذا غضب هذا الشيخ غضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف،² ولما دخل عبيد الله القيروان ادعى أنه المهدي المنتظر وأنه الإمام المعصوم و جاهد بسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و أزواجه الطاهرين وحكم بكفرهم وارتدادهم عن الإسلام نولم يستثني إلا علياً، و قليلاً ممن أيده وناصره،³ كما انتهكت حرمت المساجد في أيامه فقد روي أن بعض أتباعه أدخلوا خيولهم المسجد، ولما قيل لهم: كيف تدخلون خيولكم المسجد؟ فقالوا: إن أرواتها و أبوالها طاهرة لأنها خيل المهدي، فقال لهم القيم بالمسجد: الذي يخرج من المهدي نجس، فكيف الذي يخرج من خيله، فقالوا له: طعنت على المهدي، وأخذوه، وذهبوا به إليه، فأخرجه عشية الجمعة فقتله،⁴ كما نجد بعض دعاة الفاطميين أنزلوا المهدي منزلة الإله وأنه يعلم الغيب، وأنه نبي مرسل، فقد كان هناك رجل يدعى أحمد البلوي، النحاس يصلي إلى رقادة أيام عبيد الله فلم انتقل إلى المهديّة صلى إليها باعتبارها مثل مكة المكرمة - شرفها الله - كما زعموا أنه كان يعلم الغيب فيظهر من أيّمان بعضهم حيث إذا أقسم يقول: "و حق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقاده،"⁵ يعتبر الحاكم من الأمراء الذين أظهروا البغض للمالكين، فعندما تولى عرش الدولة اظهر من الكفر والزندقة ما لم يظهره غيره، فكان مما أحدث أن بنى داراً وجعل لها أبواباً، وجعل فيها قيوداً و أغلالاً و سماها جهنم، فمن جنى جناية عنده قال: أدخلوه جهنم و أمر أن يكتب في الجوامع بسب الصحابة، وأرسل إلى المدينة من ينبش

¹ - سورة الحديد، الآية، 3.

² - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 60.

³ - ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 159.

⁴ - نفسه، ص 284.

⁵ - عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 313.

قبر النبي -صلى الله عليه و سلم -،¹ وجعل لها كما قاموا بترهيب المجتمع المغربي وذلك بتعليق رؤوس الحمير والكباش على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة، مكتوب عليها أسماء الصحابة، فاشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل و مثل به،² كما أورد الخشني أن سياسة العبيدين مست الجميع على حد قوله "ودارت على ناس كثير، دوائر من قتل، وضرب، ألا أنهم ليسوا من العلماء."³

3_ محنة فقهاء المالكية في الدولة الفاطمية:

من بين الذين نكل بهم نجد عروس المؤذن كان -رضي الله عنه - يؤذن بمسجد أبي عياش، الفقيه صاحب سحنون، وكان سبب قتله أن بعض المشاركة شهدوا أنه لم يقل في أذانه "حي على خير العمل" فقطع لسانه و قتل بالرماح، بعد أن طيف به القيروان، ولسانه بين عينيه، ثم قتل رضي الله عنه،⁴ ومن بين الذين ضربوا أبو القاسم محمد ابن محمد ابن خالد القيسي المعروف بالطرزي، القاضي الزاهد مولى بني معبد، سمع من سحنون بن سعيد كثيرا، ضربه القاضي المروزي، هو وابن بطريقة⁵ بالسياط عند الجامع بغضا منه في أهل السنة، و عداوة لعلماء المسلمين.⁶

كما نجد الفقيهين ابن هذيل،¹ وابن البرذون،² تعرضا للتنكيل، فعندما ادعى عبيد الله الرسالة أحضر الفقيهين، وهو جالس على كرسي الملك أوعز إلى أحد خدمه، فقال للشيخين "أتشهدان أن هذا رسول

¹ _ ابن خلكان، المصدر السابق، مج 5، ص 292.

² _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 5، ص 303 .

³ _ الخشني، المصدر السابق، ص 301.

⁴ _ المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 152.

⁶ _ هو العباس إسحاق ابن إبراهيم الأزدي الصابغ، كان فقيها من أهل الحفظ و الفهم، كان قاضي طرابلس، ينظر، الدباغ، المصدر

السابق، ج 3، ص 300.

¹ _ الدباغ، المصدر نفسه، ص 10 11.

الله؟، فقالوا بلفظ واحد، و الله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه، والقمر عن يساره يقولان انه رسول الله، ما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما،³ وهذا ما عبر عنه ابن عذارى بقوله: "ضرب إبراهيم بن البرذون خمسمائة سوط، إذا كان القول فيه أشنع، والسعي عليه أعظم فغلط ابن أبي الخنزير فيهما وضرب ابن هذيل، ثم قتله وقتل ابن البرذون بلا أن يضربه."⁴

أما المالكي فيذكر ضرب إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي، بالسياط—هو وأخريين من أصحابه—يعرف بابن بكر بن هذيل من المدنيين، قتل ابن هذيل، مقتل ابن البرذون، ثم ربطت أجسادهما بالحبال، و جرتهما البغال مكشوفين في القيروان، وصلبا نحو ثلاثة أيام، ثم أنزلا و دفنا،⁵ أما أبو جعفر بن خيرون،⁶ كان مرشحا للقضاء، وكان محمد ابن عمر المروزي بغض به، وهو الذي سعى به حتى قتل.⁷

أما محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابي بكر بن اللباد، مولى الأقرع، مولى موسى بن نصير اللخمي كان وشاح حائكا، سمع من الشيوخ الذين كانوا في وقته، كأبي بكر بن عبد العزيز الأندلسي المعروف بابن الجزار، وحبیب بن نصر، و أبي عمران البغدادي وغيرهم، سمع منهم جماعة من الناس،

²— أبو بكر ابن هذيل فقيه قيرواني، سمع من عيسى بن مسكين، ويحيى ابن عمر و غيرهم من رجال سحنون، كان فقيها زاهدا بارعا في العلم وله في الزهد والتكشف حكايات، ينظر، عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ/1979م، ج1، ص225.

³— الإمام الشهيد المفتي، أبو إسحاق إبراهيم محمد بن البرذون الضبي مولاهم الإفريقي المالكي، تلميذ أبي عثمان بن الحداد، كان بارعا في العلم يذهب مذهب النظر، سمع من عيسى بن مسكين، و يحيى بن عمر، كان مناقضا للعراقيين، ينظر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، تح: اكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ج14، صص 215 216.

³— علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2006، ص72.

⁴— ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص155.

⁵— ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص148.

¹— أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري، الأندلسي الفرضي الشهيد، رحل إلى العراق، و سمع من محمد بن نصر صاحب يحيى ابن معين، ثم عاد الى القيروان قال المالكي: أدخل بعض كتب داوود القيروان، الدباغ، المصدر السابق، ج2، صص 288 289.

²— الخشني، المصدر السابق، ص229، ينظر، المصدر السابق، ج2، ص290.

وتفقه به أبو محمد بن أبي يزيد، وابن حارث و غيرهم كان أصل محتته أنه صلى على جنازة استؤذن لها وقد حضر ابن أبي المنهال القاضي، حينئذ لجنازة أخرى كلم عليها، فصلى أبو بكر بن اللباد و صلى وراء ابن أبي المنهال، ثم قدمت الجنازة الأخرى فصلى عليها ابن أبي المنهال فجلس أبو بكر ابن اللباد ومد رجله، واستدبر القبلة، ولم يصلي وراءه، فشف ذلك على ابن أبي المنهال وأعزته به المشاركة فوجد وراءه في جماعة منهم، فلما دخل قال له: اجلس ثم عقد عليه محضراً، بشهادة القوم بفتحه بابه، وانتصابه للفتوى بخلاف مذهب أمير المؤمنين وأنه يلبس السواد، ويخطب في الأعياد فأمر ابن أبي المنهال بسجنه، ومضى إلى السجن حتى ذهب محمد ابن أخيه إلى المهديّة، فأخبر بذلك البغدادي، وكان يحبه فسعى له عند عبيد الله حتى أمره أن يكتب إلى أبي المنهال بإخراجه من السجن، على أن لا يفتي، ولا يجتمع اليه الناس و لا يفتي ألا بمذهب السلطان.¹

كما أورد الخشني أن دارت على ابن اللباد، دائرة في حين تغريم الناس، فحبس، وضرب على يد أبي زيد الشاهدي² أما سعيد محمد بن محمد بن سحنون، الذي كان جليل القدر بخيره، ولد في العام الذي توفي فيه أبوه محمد، امتحن على يد المروزي قاضي الشيعة، وقال له: بلغني عنك أشياء أول ما يجب فيها سفك الدماء، وأمر غلامه فقنعه أسواطاً وكان يقول، ما دفعت، عنه بهذا إلا كثيراً، وما فعلته إلا شفقة عليه فان المشاركة أكثرها فيه، فأرضيتهم بذلك مات سنة 306هـ، ويقال سنة 307هـ وهناك بعض الفقهاء من امتحنوا عن طريق السجن، ونجد من بينهم أبو جعفر أحمد بن نصر ابن زياد الهواري البربري، أثنوا عليه الكثير من المؤرخين فكان من العلماء الراسخين والحفاظ المعدودين لم يرى في زمانه أحفظ منه ولا احضر جواباً لاسيما في مذهب مالك، سجنه عبيد الله المهدي في المهديّة لمدة تسعة أشهر وكان ذلك سنة 308هـ،³ غير هذه السياسات استعملت الدولة العبيديّة سياسة أخرى لتضييق على المالكيين ومن بينها

¹ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص، ص286، 292.

² _ الخشني، المصدر السابق، ص 300.

³ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، 86، ينظر، الخشني، المصدر السابق، ص299.

السياسة المالية، فعبيد الله المهدي رفض تأمين أهل إفريقية في أموالهم، فقد استعمل هذا الخليفة سياسته لابتزاز الأموال لخدمة مشاريعه التوسعية الكبرى، ومن بينها التغریم والمصادرة وكذلك فرض التقسيط، ثم التضييع سنة 305 هـ، زعموا أنه من بقية التقسيط، كما نوع الفاطميون في الضرائب غير المباشرة مثل: الفبالات والمكوس الموظفة على التبادل التجاري، وحتى على الأشخاص عند مرورهم بالمهدية خلال موسم الحج وكانت هاته السياسة مرهقة جداً،¹ هذا ما عبر عنه قاضي نعمان أنها كانت سياسة ثقيلة فأخذ العبيديون كل ما يملك من عبيد ومن بقر، و غنم وغيرهم،² واضطهد الكثير من الفقهاء على اثر هذه السياسة التعسفية ومن بينهم ابن اللباد إذ دارت عليه دائرة في حسن تغريم الناس فحبس، وضرب على يدي أبي زيد الشاهدي،³ أما أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد، امتحن في آخر عمره بمغارم السلطان، فلجأ بنفسه إلى محمد بن أحمد البغدادي متوسلاً به إلى فأعظم البغدادي قصده وهش إلى حاجته وقال أن هذا المغرم لم يفتح السلطان فيها باباً من التخفيف فدفع ستين مثقالاً، مقابل احتفاظه بغلة عامه،⁴ على خلاف السياسة التعسفية الاقتصادية، والسياسة الاضطهادية نجد سياسة مخالفة اتبعها الفاطميون اتجاه المغاربة المالكية، والتي تمثلت في الانحرافات العقائدية للفاطميين، والتي تمثلت في إبطال بعض السنن ذو التغيرات المذهبية التي أجراها المهدي بعد استقراره في رقادة إطلاقه الحرية للدعاة في كتامة يفتون الناس في عقائدهم و يرغمونهم على تغير المألوف لديهم، هي التي أوجدت فصلاً من الصراع المذهبي العنيف بين الشيعة، وجمهور أهل السنة و خاصة المالكية.⁵

4_ المسائل التي أثرت بين الفاطميين والمالكيين:

¹ _نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص161.

⁴ _قاضي نعمان بن محمد(ت363هـ)، المجالس والمسائرات، تح: الحبيب الفقي و آخرون، دار المنتظر، بيروت_ لبنان_، ط1، 1996م، ص337.

³ _ الخشني، المصدر السابق، ص89.

⁴ _ المصدر نفسه، ص42.

⁵ _موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص403.

لما ولي أبا العباس زاد في الأذان "حي على خير العمل"، وترك الناس يصلون القيام (التراويح) سنة واحدة، ثم منعهم وترك أكثر الناس الصلاة في المساجد، وأمر الفقهاء ألا يفتون ولا يكتبون وثيقة إلا من تشرق (تشيع)،¹ كما منعوا صلاة الضحى، وقدموا صلاة الظهر لفتنة الناس، أما خطبة الجمعة فقد أظهروا فيها سب الصحابة، وضربوا من الكفر، فتركها الناس و أقفرت المساجد في زمانهم، وكثيرا ما يجبرون الناس على الفطر قبل رؤية هلال شوال،² رغم ما لقيه الفقهاء من اضطهاد وتنكيل إلا أنهم لم يتنحوا عن أداء دورهم التربوي، والاجتماعي تجاه طالبهم حتى أنهم اضطروا غي الكثير من الأحيان إلى تدريسهم و الاجتماع بهم سرا، وهذا ما كان يفعله الفقيه أبو بكر محمد بن وشاح، المعروف بابن اللباد الذي كان يجتمع بطلابه خفية وربما كانوا يجعلون الكتب في أوساطهم وحجورهم حتى تتبل بعرقهم، خوفا على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه،³ رغم هذا إلا أن هناك فئة من الفقهاء ثاروا على الفاطميين، أولى الوسائل التي استعملها علماء المغاربة في مقاومة التيار الشيعي الوسيلة السلبية وتعني: المقاطعة الجماعية التي قاطع بها علماء المغرب كل ماله صلة بالتشيع أو بالحكم القائم كما نجد مقاطعة أخرى تمثلت في مقاطعة كل من يسير في ركب السلطان، واعتزاله وكل ما كانت له صلة بهذا السلطان، أو سعى إلى تبرير وجوده عملا بقوله تعالى: « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد اللهو رسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانكم أو عشيرتكم»،⁴ وهذا ما حدث مع خلف بن أبي القاسم البراذعي (ت نحو 400هـ) قام عليه فقهاء القيروان بصلته بملوك بني عبيد وتأليفه كتابا في تصحيح نسبهم وزادت النقمة عليه عندما وجدوا بخطه الثناء على بني عبيد.⁵

5_موقف علماء المالكية من الدعوة الفاطمية:

¹ محمد بن حسن الشرجيلي، المرجع السابق، ص283.

² علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص75.

³ رفيع بوراس، المرجع السابق، ص43.

⁴ سورة المجادلة، الآية، 22.

⁵ عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص326.

كما نجد بعض علماء القيروان أعلنوا معارضتهم الصريحة للعبيديين، وكان أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان على رأس المعارضين، حيث ترك رباطه وأتى القيروان ليسكنها فسئل عن سبب ذلك، فقال: كنا نحرس عدوا بينه وبيننا البحر فتركناه، واقبلنا على حراسة هذا الذي حل بساحتنا لأنه أشد علينا من الروم، ولم يكن في وقته أكثر منه اجتهادا في مجاهدة عبدة الله وشيعته وكان لا يدري أحدا في ذلك،¹ كما نجد الفقيه ابن خيرون الذي كان يحذر العامة من المذهب الشيعي الفاطمي، ومن نخلتهم ويدعوهم إلى التمسك بالمذهب السني، ابتلى وصبر على البلاء حتى نال الشهادة، رفس بأرجل السودان بعد طول التعذيب، أما أبو الفضل عياش بن عيسى بن العباس الممسي الذي توفي شهيدا سنة 333هـ، قال أبو العرب: «ختم الله تعالى الكريم بالشهادة له بعد هذه الفضائل في جهاد بني عبدة»،² كما نجد ربيع بن سليمان بن عطاء الله القطان القيرواني كان زاهدا، جعل على نفسه ألا يشبع من عنقه المصحف طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبدة، ركب يوما فرسه وفي عنقه المصحف وحوله جمع كبير، وهو يتلوا آيات جهاد الكفرة فاستشهد يوم المصاف في صفر سنة أربع و ثلاثين، وكان غرض بني عبدة أخذه حيا ليعذبوه³ أما ابن التبان أبو محمد بن إسحاق من أشهر علماء افريقية وصلحائها، قال القاضي عياض: «الفقيه الإمام كان من العلماء الراسخين والفقهاء، ضربت إليه أكباد الإبل، من الأمصار لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر و مذهب مالك، وكان أحفظ الناس بالقرآن عالم بالغة والنحو والحساب والنجوم،⁴ ونقل عن أبي الحسن القابسي قوله: "رحمك الله يأي محمد، فلقد كنت تغار على المذهب و تذب عن الشريعة"،⁵ توفي سنة 371هـ،¹ كما نجد أحمد بن أبي الوليد الذي كان من المناوئين

¹ _المالكي، المصدر السابق، ج2، ص37.

² _نفسه، ج2، ص141.

³ _شمس الدين محمد الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص ص155 156.

⁴ _القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص247.

⁴ _المصدر نفسه، ج6، ص248، ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص431، محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج3، ص، ص 94 96.

للعبيدين، ومن المحرضين على الخروج عليهم، خطب الناس في الجمعة فقال: "جاهدوا من كفر بالله وزعم، أنه الرب وغير أحكام الله، وسب نبيه و أصحاب نبيه، اللهم إن هذا القرمطي الكافر المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوية، جاحد لنعمتك كافر بربوبيتك، طاعن على رسلك، مكذب بمحمد نبيك، سافك للدماء، فالعنه لعنا، وأخذه خزيا طويلا، واغضب عليه بكرة وأصلا." ²

¹ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص93، القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص252
¹ _ عبد العزيز فارح، صمود المذهب المالكي و بعض أعلامه الكبار بالغرب الإسلامي في فترات عصبية، بحوث الملتقى الأول، القاضي البغدادي بمناسبة مضي ألف عام على وفاته، المؤتمر العلمي لدار البحوث، المجلد السابع، دار البحوث للدراسات الإسلامية إحياء التراث انعقد من 13 إلى 19 محرم 1424 هـ الموافق ل 16 إلى 22 مهريس 2003 م ط2004، م1، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص636.

المبحث الثالث: دولة بني زيري بين التشيع والقطيعة المذهبية.

1_ قيام الدولة بني زيري الصنهاجية:¹

لما عزم المعز الخليفة الفاطمي على المسير الى مصر، أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب، فوقع اختياره على أبي أحمد جعفر بن علي— ابن حمدون الأندلسي— فاستدعاه وأشار إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب،² فقال له: اترك معي أحدم أولادك أو إخوتك جالسا في القصر و أنا أدبر، لا تسألني عن شيئا من الأموال إن كان ما أجيبه بإزاء ما أنفقتة، و إذا أردت أمرا فعلته و لم أنتظر ورود الأمر فيه، لبعد ما بين مصر و المغرب، و يكون تقليد القضاء و الخرج وغيره من قبل نفسي.³ فغضب المعز و قال: يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمره، و استبددت بالأعمال و الأصول دوني، قم فقد أخطأت حظك و ما أصبت رشداك،⁴ وبعث خلف بلكين بن زيري وكان متوغلا في المغرب في حروب زناتة، وولاه أمر إفريقية،⁵ فقال بلكين: يا مولانا، أنت آباؤك الأئمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم،

¹ _ نسبة الى صنهاجة وهي قبيلة بربرية كبيرة كان لها دور في مناصرة دعوة الرافضة، في المغرب و خاصة إبان ثورة أبي يزيد الخارجي، فكانت صنهاجة في الفترة الأولى من 302هـ _ 440هـ، عبارة عن ولاية تابعة للعبديين ثم استقلت عنهم بداية من سنة 440هـ. ينظر، ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص105.

² _ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10هـ الى 12هـ، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1992، ج1، ص73.

³ _ المقرئزي، المصدر السابق، ج1، ص99.

⁴ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص78.

⁵ _ عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، 1431هـ/2000م، ج6، ص202.

ما صفا لكم المغرب فكيف يصفوا لي و أنا صنهاجي بربري، فأخ عليه المعز فقبل بلكين،¹ وكناه أبو الفتوح، ولقبه بسيف الدولة.² يذكر ابن الأثير: " واستعمل على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري، إلا لم يجعل له حكما على صقلية، و لا على مدينة طرابلس الغرب، و لا على أجدابية،³ وسرت،⁴ وذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين و ثلاثمئة، وأمر سائر الناس بالسمع و الطاعة،⁵ ولما أراد وداعه قال له: يا يوسف إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنسى ثلاثا، لا ترفع الجباية عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول أحدا من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، و أوصيك خيرا بأهل و ودعه وانصرف.⁶

اضطلع بلكين بالمهمة التي أسندت إليه، فأخضع بلاد المغرب الأوسط، وسيطر على سجلماسة و قضى على ثورة أهل تاهرت،⁷ وفي عهد حفيده باديس أرسل هذا الأخير عدة حملات زناتة ولكنها هزمت، و اضطرت بلاد المغرب، ولكن حماد قائد الأمير الزيري، شن عدة هجمات على زناتة سنة 395هـ، وشق عصا الطاعة على سيده واستقل بما تحت يده من البلاد، فسار إليه باديس و لكنه

¹ _ محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010م، ص 43.

⁷ _ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص202

¹ _ ابن أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ من سنة 309هـ الى غاية 388هـ، مر: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان _، ط1، 1407هـ/1987م، مج7، ص 331.

² _ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج24، ص93.

³ _ ابن أبي الدينار، المرجع السابق، ص 73.

⁴ _ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 184.

توفي في معسكره،¹ واستمر أمراء صنهاجة في ولائهم للفاطميين رغم رحيلهم الى مصر، وذلك طيلة فترة حكم الأمراء الثلاثة² بلكين(361_373هـ / 972_984م)، والمنصور(373_386هـ / 984_996م)، و باديس(386_406هـ / 996_1016م)،³ كما أنهم احتفظوا بالاتجاه الإسماعيلي الشيعي، مذهبا رسميا للدولة.⁴

2_أمراء بنو زيري و المذهب المالكي:

كان أمراء الدولة الصنهاجية أمثال: أبي الفتح يوسف بن زيري، و ابنه المنصور و حفيده باديس، محافظين على تبعيتهم للعبديين و ولائهم للمذهب الإسماعيلي، فقط نشط بلكين بن زيري و واليه على القيروان عبد الله بن الكاتب في طلب كبار رجال مذهب مالك ليحبرهم على الدخول في المذهب الفاطمي، فاستدعى خلف بن عمر⁵ ومحمد بن تبان⁶، قال عنه الدباغ: كان من المتعبدين ذا رقة و بكاء وتلاوة متفننا في كل علم، ختم أربعة آلاف ختمة، و قيل خمسة آلاف⁷ ويذكر القاضي عياض: "كان عبد الله المعروف بالمختال_ صاحب القيروان_ شدد في طلب أهل العلم ليشرفهم_ أي ليحملهم على المذهب المشاركة، وهو التشيع فطلب الشيخ أبا سعيد بن أخي هشام و أبا محمد بن التبان، فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام واتفقوا على الفرار، فقال لهم ابن تبان: أنا أمضي إليه أبيع روحي من الله دونكم،

⁵ _ الفقي، المرجع السابق، ص 184.

⁶ _ حفصاوي الزهرة، صنهاجة ودورها في الصراع المذهبي ببلاد المغرب الأوسط (297_543هـ/909_1148م)، مذكرة الماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1434_1435هـ/2013_2014م ص 46.

³ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص73.

⁴ _ حفصاوي الزهرة، المرجع السابق، ص 64.

³ _ هو عثمان بن عمر، وقيل عثمان بن خلف، المعروف بأخي هشام الخياط، توفي سنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة، و قيل سنة ثلاث و سبعين، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص 181

⁴ _ هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن تبان، توفي يوم الخميس و دفن عصر الجمعة السابع من محرم سنة سبع و تسعين و ثلاثمائة. ينظر، القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 251.

⁷ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 130.

ويقال أنه لما دخل على عبد الله فقال له: ختنك من قوم إيمانهم مثل الجبال،¹ وكان رد ابن تبان " و الله لو نشرتي في اثنين ما فارقت مذهب مالك."² وأبا القاسم بن شلبون، قيل أنه كان مفتي المدينة و البادية، حيث كان يفتي كل يوم مائة مسألة،³ وأبا محمد زيد، و أبا الحسن القابسي⁴ يذكر الدباغ أنه قد بعث إليه عبد الله الكاتب ليسأله عن حرف في القرآن فلم يجبه حتى قال له أخوه أبو سعيد: يا أخي إني أخاف منه على نفسي إن لم تجبه، فسار الشيخ أبو الحسن إليه و أخذ يعلم مواضع قدميه من الأرض، فلما دخل عليه لم يسلم و جلس، فسئل عن الحرف الذي أشكل لديهم فلم يجب بشيء، فقرأ القارئ ذلك الحرف مرة بعد أخرى و هو ساكت، حتى قرأه بالصواب فأشار إليه أي نعم، ثم خرج من عنده وما وفاه بكلمة تورعا، فلما رجع أخذ يتبع أثار قدميه في السير فيضع فيها قدميه لكي لا يكثر الخطأ في الأرض المغصوبة،⁵ فقد قطع الإقراء لما بلغه أن بعض أصحابه استقره السلطان فقرأ عليه، فشغل نفسه بالحديث و الفقه الى أن رأس فيهما و برع،⁶ عاصر ثلاث أمراء من ولاية بني زيري بلكين، المنصور، و باديس و حاز على احترامهم تقديرهم، رغم شدة معارضته لهم، وعدهم خارجين عن الملة،⁷ إلا أن محاولة بلكين و واليه لم يكتب لها النجاح،⁸ خرج أهل القيروان الى بلكين بن زيري إثر تشييعه لهدية الى العزيز بالله الخليفة الفاطمي سنة 365هـ/976م، فتلقاهم أحسن قبول أنزلهم أجمل نزول، على الأمير الصنهاجي كان

⁶ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص: 252.

⁷ _ لطيفة بنت محمد البسام، الحياة العلمية للدولة في إفريقية في عهد بني زيري، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1422هـ/2001م، ص 56، ينظر أيضا، الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 130.

¹ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 336.

² _ هو علي بن محمد بن خلف أبو الحسن المعافري، أخذ القراءة عرضا و سماعا عن أبي الفتح بن يدهن و عليه اعتماده، قال الداني: أقرأ الناس بالقيروان. ينظر، شمس الدين أبي خير محمد بن محمد بن عليلال الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2006م، ج1، ص 501.

⁵ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 136.

⁴ _ الجزري، المصدر السابق، ج1، ص 501.

⁷ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 136.

⁸ _ لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص 54. ينظر أيضا، القاضي عياض، المرجع السابق، ج6، ص 302.

يظهر الطاعة مجاملة للفاطميين، كما يبدو أنه حاول التوفيق بين المذهبين المالكي و الشيعي، و ما حضوره للصلاة على جنازة أحد علماء المالكية وهو أبو سعيد خلف بن عمر(ت 371هـ/981م) بمعية " جمع أهل المذهبين من الموافق و المخالف."¹

في الحقيقة أن اهتمام أمراء بني زيري بأمور السنة ضد التشيع بدأ موازيا مع التوجه نحو الاستقلال السياسي عن الخلافة الشيعية بالقاهرة،² فتوطدت علاقة الزيريين بأتباع المذهب المالكي في عهد المنصور بن بلكين، بما أن الأمير افتتح عهده بتقديم بعض عشرة آلاف دينار ضيافة لفائدة" وجوه الناس من شيوخ القيروان و غيرهم" كما عبر لهم عن استقلاليتهم تجاه الفاطميين، إذ ذكر لهم أنه ورث عن أجداده حمير،³ "إن أبي و جدي أخذنا الناس بالسيف قهرا، و أنا لا آخذ إلا بالإحسان، و ما أنا في هذا الملك ممن يولى بالكتاب و يعزل بالكتاب، لأنني ورثته عن آبائي وأجدادي" بمعنى الاستقلالية عن خلافة القاهرة،⁴ ويذكر سعد زغلول: أن قال كلامه هذا لوفد القيروان سنة 374هـ/984م، فيجلس بعد ذلك، في سنة 377هـ/987م مع أهل بيته حسب أوامر القاهرة ليعطي العهد على التمسك بالمذهب الفاطمي لعبد الله الكاتب الوزير.⁵

وقد استطاع الفقهاء المالكية النفوذ الى حاشية باديس، و زادهم نفوذهم بعد أن عهد باديس الى أبي الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني،⁶ بتربية ولده المعز و تنشئته و أصبح المعز واليا للعهد بعد وفاة أخيه المنصور.¹

¹ -الهننتاتي، المرجع السابق، ص 171، ينظر أيضا، ابن فرحون، المصدر السابق، ص 182.

² - سعد زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 385.

³ -الهننتاتي، المرجع السابق، ص 172.

⁴ - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 339.

⁵ - سعد زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 385.

⁶ - راضي دغفوس، المرجع السابق، ص 275.

فقد استمرت في العصر الصنهاجي قراءة نافع التي أقرها المذهب المالكي بإفريقية من قبل،² و يبدو أن المالكية استغلوا انشغال الزيريين بالثورات الداخلية المتعددة كما أنهم أدركوا أن العلاقة بين الزيريين و الفاطميين كانت علاقة سياسية أكثر منها عداوة مذهبية، فاستغلوا تلك الظروف في تقوية مذهب مالك في المنطقة، فنشط فقهاؤهم في الاستزادة من فقه مالك و نشره،³ و سيعتمد الزيريون على علماء المالكية لإضفاء الشرعية على حكمهم، بما أنهم من البربر كما أنهم سيرتكزون على مساندة هؤلاء، لتحقيق طموحاتهم الدفينة في الانفصال عن الفاطميين.⁴

3_ قوة العلماء المالكية في العهد الزيري:

مما يدل على قوة العلماء المالكية في عهد بني زيري، أنهم كانوا يرسلون علماء لتفقيه الناس في الذهب، فنذكر: أبو عمران الفاسي الذي استوطن القيروان، وحصلت له بها رياسة العلم، وتفقه بأبي الحسن القابسي، و رحل الى قرطبة فتفقه بها عند الأصيلي، أخذ عنه الناس من أقطار الغرب و لأندلس،⁵ ويذكر الدباغ: أنه جرت بالقيروان مسألة أخرى في الكفار هل يعرفون الله أم لا؟ و وقع فيها تنازع عظيم من العلماء و تجاوز ذلك للامة و كثر التنازع بينهم فيها فقال قائل: لو ذهبتم الى الشيخ أبي عمران لشفاف من هذه المسألة فقط أهل السوق بجماعتهم حتى أتوا باب داره واستأذنوا عليه فأذن لهم فقالوا أصلحك الله أنت تعلم أن العامة إذا حدث بها حادث إنما تفرع الى علمائها و هذه المسألة قد جرى فيها، فقال لهم: رأيت لو لقيت رجلا فقلت له: أتعرف أبا عمران الفاسي؟ فقال: أعرفه، فقلت: صفه لي، فقال: هو رجل يبيع البقل و الحنطة، و الزيت في السوق ابن هشام، و سكن صيرة أكان

¹ لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص 55.

¹ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 321.

³ لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص 55.

³ الهنتاتي، المرجع السابق، ص 172.

⁵ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 423.

يعرفني؟ قال: لا، قال: فلو لقيت آخر فقلت له: أتعرف الشيخ أبا عمران؟ قال: نعم، فقلت: صفه لي، فقال: رجل يدرس العلم و يفتي الناس و يسكن قرب السماط، أكان يعرفني؟ قال: نعم، فقال لهم الشيخ: كذلك الكافر فهو بخلاف المؤمن الذي يعرف أن معبوده هو الذي لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفؤاً أحد،¹ و يذكر كذلك: أبو بكر الخولاني من أهل القيروان و شيخ فقهاءها في وقته مع صاحبه أبي عمران الفاسي، و كان أبو بكر فقيهاً، حافظاً، ديناً، وتفقه عليه حلف كثير: كأبي بكر القاسم السيوري، و أبي حفص العطار، و أبي الفضل بن بنت خلدون و غيرهم،² و نذكر كذلك الفقيه خلف بن عمر قال عنه المالكي: كان يعرف بمعلم الفقهاء، لم يكن في وقته أحفظ منه، عالماً بنوازل الأحكام، حافظاً، بارعاً، فراجاً للكرب مع التواضع، ورقة القلب، و سرعة الدمعة، و خالص النية و كان يعد من بين كبار فقهاء عصره،³ توفي في ليلة الجمعة لسبع خلون من صفر سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، و صلى عليه أمير إفريقية و جميع عسكره و أهل إفريقية كافة،⁴ و ذكر المنتاقى في هذا الصدد: أن الأمير الزيري حاول التوفيق بين المذهب المالكي و الشيعي و حضوره لجنائزه دليل على ذلك،⁵ و هناك علماء برزوا في مدن بذاتها غير القيروان، فنشروا المذهب المالكي و قاوموا التشيع، من هؤلاء أبو الحسن بن علي بن محمد المنمر،⁶ المشتهر فضله و علمه و رئاسته، و هي مزاحمة لمسجد يعرف بمسجد ابن فرج، و هو أول من قطع من الأذان، "حي على خير العمل" و أذن في ذلك اليوم أذان أهل السنة بنفسه، و قد قتل بنو عبيد بشراً كثيراً أسقطوا هذه اللفظة من أذانهم تعمداً أو نسياناً، و منهم كذلك: أبو محرز بن خلف

¹ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 164.

² _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 239.

³ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 329.

⁴ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 182.

⁵ _ المنتاقى، المرجع السابق، ص 171.

⁶ _ لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص 59.

الذي عرف بالمؤدب الذي درس الفقه المالكي في تونس و كان " السلاطين يردون عليه و يحضرون مجلسه و يسألونه الدعاء"¹.

لم يقتصر فقهاء المالكية على تدريس المذهب ونشره فقط، و إنما عمل فقهاء المالكية على التقليل من شأن دعاة المذهب الشيعي، و حاربوا أي محاولة لنشره و تثبيت أركانه في القيروان،² فذكر القاضي عياض إحدى المناظرات التي دارت بين ابن تبان و داعيين شيعيين بحضور والي القيروان عبد الله بن الكاتب "فقال له الوالي يا أبا محمد، ناظر هؤلاء الدعاة فقال بماذا؟ قال: في فضائل أهل البيت فقال لهما: ما تحفظان في ذلك؟ فقال له أبو طالب: أنا أحفظ حديثان و لحن، ثم سأل الآخر فقال له: وأنا أحفظ حديثان، فقال له: فهذان الحديثان اللذان تحفظ أنت، هما الحديثان اللذان تحفظ أنت، هما الحديثان اللذان يحفظ هذا، فقال: نعم، قال له: هما يحفظان حديثان و نطق بلحنتهما، و أنا أحفظ في ذلك تسعين حديثاً فالأولى بهما الرجوع الي.³

3_ المعز بن باديس والقطيعة المذهبية:

عندما تولى المعز بن باديس في ي الحجة 406هـ / 1016م، وكان المعز أميراً قوياً، اتجه منذ أن بلغ سن الرشد الى تولي لحكم بنفسه، ولم يخف نزوعه الى الاستقلال عن الفاطميين والغناء المذهب الشيعي في المغرب جملة، وقد تم له ذلك بعد تطورات كثيرة في سنة 440هـ / 1048م، فأعلن المعز بن باديس في القيروان عودته الى المذهب السني المالكي، ورحب شعب القيروان بذلك ترحيباً شديداً حتى قامت ثورة على من كان في القيروان من الشيعة،⁴ فيذكر الهادي روجي إدريس في هذا الصدد مذبة نفضة في سنة

¹ _ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1981، ص 265.

² _ لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص 59.

³ _ القاضي عياض، المرجع السابق، ج6، ص 254.

⁴ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 163.

423هـ / 1031م¹، وعلى إثر ذلك بعث المعز للخليفة العباسي القائم بأمر الله، يطلب منه بتوليته على إفريقية و المغرب، فأرسل إليه الخليفة راية سوداء، و خلعاً سوداً، و عهداً بالولاية²، ويذكر ابن عذاري في هذا الصدد: " في سنة 440هـ قطعت الخطبة لصاحب مصر، و أحرقت بنوده، قال ابن شرف: أمر العز بن باديس أن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة العبيدية، نادى الخطيب للخلفاء الأربعة، وللعباس ولبقيّة العشرة"³، وقد جاء في ترجمة أبي بكر أحمد بن عبد الرحمن، أن المعز أراد أن يبعثه رسولاً الى صقلية للقيام بمهمة دبلوماسية، فأجابه ذلك الفقيه بالاستعلاء " والله إن أقلامنا لأمضى عند الله من رماحك"، فإن تكليف الأمر لأحد رجال المذهب المالكي بالقيروان يمثل تلك المهمة، يدل دلالة واضحة على حقيقة نواياه⁴، وهكذا انفصلت دولة بني زيري و بلاد إفريقية والمغرب عن مصر⁵، وكانت الدولة الفاطمية عاجزة عن اتخاذ أي إجراء ضدهم، وهنا خطرت ببال الوزير الفاطمي أبي محمد الحسن ابن علي اليازوري، فكرة إقطاع بني هلال و بني سليم بلاد إفريقية والمغرب، ونقلهم إليها وكان رأيه، أنه إذا تمكن الهالليون من القضاء على دولة بني زيري، كان ذلك خيراً للدولة الفاطمية، فإن استقلال بني زيري وعودتهم الى مذهب السنة كان يرق بال الخليفة الفاطمي ورجاله، فإذا حدث العكس وقضى بنو زيري على بني هلال كان هذا خلاصاً من هؤلاء دون أن تخسر الدولة شيئاً، ولم يفكر هذا الوزير الفاطمي فيما يمكن أن يلحقه بنو هلال من الضرر بإفريقية وأهلها⁶.

إن علماء القيروان ومن بينهم أبو محمد بن الكراني، و القاسمي، و أبو القاسم بن شلبون، وأبو علي بن خلدون و أبو بكر الطنبي، و أبو بكر بن عذرة، أجمعوا على أن " حال بني عبيدة، حال المرتدين و

¹ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 220.

² _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 164.

³ _ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 285.

⁴ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 221.

⁵ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 164.

⁶ _ المرجع نفسه، ص 167.

الزنادقة، بما أظهروه من خلاف الشريعة، فلا يورثون بالإجماع، و حال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل فيقتلون بالزنادقة"، و بهذه الأحكام واجهت العامة الشيعة، و عمدت الى تقتيل من بقي منه، وقد تم ذلك في عهد المعز بن باديس.¹

4_تأييد المعز للمذهب المالكي:

أما فيم يتعلق بموقف هذا الأخير من أعمال التقتيل أنه ساهم بسياسته الجديدة في تطوير الأحداث بشكل سريع، و ساير علماء المالكية الذين أصبح لهم النفوذ كبير و تأثير واسع على العامة،² ومن كل ما تقدم نخلص الى أن قصة نشأة المعز بن باديس على حب السنة والمالكية، و كراهية التشيع وتتبع السنة منذ ولايته الصغيرة، منذ سنة 407هـ/1016م،³ حيث يذكر ابن عذارى المراكشي: " فحرض ابن أبي الرجال المعز بن باديس، و أدبه و دله على مذهب مالك و على السنة و الجماعة، و الشيعة لا يعلمون بذلك، ولا أهل القيروان،"⁴ غير أن تأزم الأوضاع فرض عليه اتخاذ موقف صارم لإرجاع الأمن و إعادة الاعتبار لهيمنة الدولة لا سيما بعدما تجرأ رجاله على قتل أبي علي بن خلدون،⁵ وفي سنة 440هـ قطع المعز الخطبة لصاحب مصر، و أحرقت بنوده، وأمر أن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب، و يقطع دعوة الشيعة العبيديين، و أعلن عودته للمذهب السني المالكي، و على أثر ذلك بعث المعز الى الخليفة العباسي يطلب منه عهداً بتوليته على إفريقية و المغرب،⁶ ذكر ابن خلدون: " وكان المعز منحرفاً عن

¹ _ الهنتاقي، المرجع السابق، ص 176.

² _ راضي دغفوس، المرجع السابق، ص 276.

³ _ حفصاوي الزهرة، المرجع السابق، ص 84.

⁴ _ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 274.

⁵ _ راضي دغفوس، المرجع السابق، ص 276.

⁶ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 164.

مذهب الرافضة، و منتحلا للسنة، فأعلن بمذهبه لأول ولايته و لعن الرافضة، ثم صار الى قتل من وجد منهم.¹

إن المذهب المالكي تمكن في العهد الزيري من القيام بصفة متدرجة، و بدور طلائعي في شتى المجالات، فقد تبين لنا مدى تفاعل العائلة الزيرية مع الاتجاه السني، و لاسيما المذهب المالكي و قد يكون ذلك منذ فترة مبكرة، رغم أن أفرادها احتفظوا بالاتجاه الإسماعيلي مذهبا رسميا للدولة.²

المبحث الرابع: الدولة الموحدية وفقه الفروع

² _ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 211.

³ _ الهنتاتي، المرجع السابق، ص 171.

1_ المهدي بن تومرت وقيام دولة الموحدين:

مؤسس دعوة الموحدين و واضع أسس دولتهم¹ هو محمد بن عبد الله بن تومرت،² الذي أخذ نفسه بتدريس العلم، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،³ كما بدأ يعلمهم مذهبهم في التوحيد الكلامي،⁴ لقبوه بالمهدي، إلا أنه لقب قبل ذلك بالإمام، وكان يسمي أصحابه الطلبة، وأهل دعوته الموحدين.

تعريضا بلمتونة في أخذهم بالعدل على التأويل و ميلهم إلى التجسيم،⁵ حيث أخذ ابن تومرت منذ اللحظات الأولى لدعوته يستنقص المرابطين أمراء المغرب و ينسبهم إلى الكفر، ويدعو إلى خلع طاعتهم،⁶ فحارمهم في العديد من المعارك ومن أشهرها البحيرة التي كانت في سنة 534هـ التي قرر فيها محمد بن تومرت أن يتحدى القوى المرابطية،⁷ خلاله استطاع المرابطون إيقاع الهزيمة بالموحدين، ولم يلبث ابن تومرت أن توفي بعد تلك الموقعة، بفترة قصيرة في نفس العام في تينملل،⁸ والتي استقر بها أثناء غزواته

¹ -عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، د ط، الرياض، 1990، ص35.

² -هو محمد بن تومرت، من أهل السوس، وله نسبة متصلة بالحسن بن الحسن، ابن علي بن أبي طالب، رحل إلى المشرق سنة 501هـ، لطلب العلم، سمع الحديث على مبارك بن علي بن عبد الجبار، قيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام، أيام زهد ه توفي سنة 523هـ، ينظر، عبد الواحد المراكشي (ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن الفتح الى آخر عصر الموحدين، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دس، ص129.

³ -ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص302.

⁴ -مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي، دار المعارف، الإسكندرية، 1985، دط، ص77.

⁵ -الناصري، المصدر السابق، ج2، ص77.

⁶ -جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطبعة و النشر، الإسكندرية، دط، دس، ص95.

⁷ -حسين مؤنس، المرجع السابق، ص208.

⁸ -تينملل: جبل عال جدا شديد البرودة، يزدحم السكان فيه، من كل جهة، وعلى قمته مدينة تحمل اسمه دفن فيها المهدي و تلميذه عبد المؤمن، هي مدينة عامرة و مزاداته بمسجد جميل، و يخترقها نهر جاري يدعى واد نفيس، الحسن بن محمد الوزان¹ -ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد أخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1983م، ج1، ص145.

ضد المرابطين،¹ وبعد وفاة ابن تومرت، بويغ عبد المؤمن علي، حيث ملك كثيرا من بلاد المغرب، فغزا غزوته الطويلة، و قام بأمر الموحدين، وأجمع على غزو بلاد المغرب،- من سنة أربع و ثلاثين إلى سنة احدى و أربعين- و واصل عبد المؤمن فتوحاته في المغرب، حتى استولى على جميع بلاد المغرب وانقضت منها لمتونة،² حيث امتدت الدولة الموحدية من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا و من الأندلس شمالا، إلى قلب الصحراء جنوبا، تولى حكمها أربعة عشر أميرا باعتبار المهدي، وشهدت العلوم، والفنون و العمارة في عهدهما ازدهارا مشهورا،³ كما كان لهم ذوق خاص في البناء ومن بينها مسجد، و قيسارية مراكش، ليس في بلاد الإسلام أعظم منها⁴.

2_موقف السلطة الموحدية من المذهب المالكي:

واجه المذهب المالكي العديد من المخن في زمن الموحدين، فابن تومرت كانت له صورة حول الفقه في عصر المرابطين، ومآل إليه، حيث استولى النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة و مسوفة مشتملة على كل مفسد و شرير و قاطع سبيل وصاحب خمر،⁵ وماخور،⁶ وإن هذا الواقع الذي آل إليه الفقه بالمغرب في عهد المرابطي من إغراق في فروعه أبعده عن

²- ليلي أحمد النجار، المغرب و الأندلس في عهد منصور الموحدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، دورة 1989م، ص 37.

³- ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص ص 7 8.

⁴- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسني ت524هـ/1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص 378.

⁵- محمد المنوني، العلوم و الآداب و الفنون على العهد الموحدين، مطبوعات دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، ط2، 1977م، ص 242.

⁶- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 135.

⁶- هو: حانوت أو مكان يشرب فيه الخمر، و تمارس فيه أنواع الفجور. ينظر، المراكشي، المصدر نفسه، ص 135.

الأصول¹ لهذا شن ابن تومرت حرباً عاتية على فقهاء المالكية لأنهم أهل القيادة والتوجيه في الدولة المرابطية، مع العلم أن الموطأ الذي صنفه كان مأخوذاً عن موطأ مالك مع حذف الأسانيد،² كما عهد ابن تومرت إلى محاربة تسلط الفقهاء على مقاليد الأمور في دولته، فعمد منذ البداية إلى توزيع السلطات والمسؤوليات على هيئة الطبقات التي ابتكرها، ولم يدع فرصة للعلماء أو غيرهم للسيطرة على الدعوة الموحدية،³ كما أخذ ينكر عليهم فأخذهم بالظاهر في تفسير الآيات التي قد يفهم منها التجسيد قائلين، إن علم ذلك عند الله مع تشويبه و نفى التشبيه عنه، وهو قول أهل السنة و رماهم بالكفر كما رماهم بالجمود لتمسكهم بمذهب مالك و فروعه.⁴

2- النزاع بين الفقهاء والسلطة الموحدية:

اتبع بعض الخلفاء نفس السياسة التي اتبعها أبائهم، حيث قاموا بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلادهم، وتغيير المنكر، وحرقت كتب الفروع و رد الناس إلى قراءة الحديث،⁵ وليس هذا فحسب بل في أيام أبي يوسف، انقطع علم الفروع، حيث أمر بإحراق كتب المذهب، بعد أن مجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، و القرآن فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون، و واضحة ابن حبيب،⁶ غير أسلوب حرق الكتب استعمل الموحدون أساليب أخرى، منها الاعتقال حيث اعتقل

¹ -عبد المجيد نجار، المرجع السابق، ص288.

³ -عز الدين عمر أحمد موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، دط، 1990م، ص

³ -عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص269.

⁴ -شوقي ضيف، عصر الدول و الإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، ص282.

⁶ - ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بالروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، دط، 1972، ص195.

⁶ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص203.

الموحدون عمارة بن يحيى،¹ وسجنوه هو و بعض أهل العلم ببجاية لما استرجعوها من أيدي بني غانية فبقي معتقلا مع أصحابه مدة من الزمان،² كما لقي بعض الفقهاء نصيبهم من التعريب أو الإقامة الجبرية و هذا ما حدث مع القاضي عياض الذي لحق بمراكش مشردا بها فكانت وفاته بها،³ وهذا ما لقيه ابن الحاج.⁴

استغل المنصور الموحد كثره الخلافات في كتب المذهب كذريعة لمحاولة القضاء على نفوذ المالكية الذين يجلبهم عامة الشعب،⁵ كما عزل الفقهاء من مناصبهم، و كان ذلك بدافع معاقبتهم، هذا ما لقيه جملة من الفقهاء من أبرزهم محمد بن علي بن مروان الوهراي،⁶ ومن المؤسف أن لا يوجد هذا العصر بفقهاء كبار منتجين على شاكلة عياض، فمحرابة المذهب المالكي كانت بدون ريب تعوق دون هذا الإنتاج، ولو أن العصر لم يخل من فقهاء أجلاء قاموا بالتدريس، وتلقين العلم رغم صرامة الدولة في محاربة الفروع، و حتى ما كان الفقهاء يدرسونه أو ينتجونه في هذا العصر، كان يتصل أكثره بالمدونة شرحا أو

¹ - هو عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، يكنى أبا طاهر له علما و آداب و فضل و نيل قدم في علم اللغة العربية، وله تأليف في علم الفرائض منظوم، ينظر، أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص45.

² - عبد الله الغبريني، المصدر نفسه، ص271.

³ - ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص2.

⁴ - هو ابراهيم بن محمد بن خلف بن سوار بن أحمد بن حزب الله ابن عامر بن سعد الخير بن عياض بن محمد، يكنى أبا إسحاق و يعرف ابن الحاج أخذ القرآن عن أبي محمد البسطي الخطيب، غربه السلطان عن وطنه، توفي بمراكش، ينظر، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر القضاعي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام المراس، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط، 1415هـ/1995م، ج1، ص202.

⁵ - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص267.

⁶ - هو محمد بن علي بن مروان بن جبل، الهمداني، الوهراي فقيه من القضاة، من أهل وهران، أصله من الأندلس ولي القضاء يتلمسان، ثم نقل للقضاء بمراكش، في آخر سنة 584هـ، ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1980م، ص350.

تعليقا، أمثال أبو محمد عبد الله بن عيسى التادلي، الذي قيل أنه أملى المدونة من حفظه بعد إحراقها و فقداها¹.

3_ الفقهاء المالكية في المناصب الدولة الموحدية:

لم تكن وضعية الفقه المالكي بذلك السوء طول فترة الموحدين بل كان هناك قبول تجلي في العديد من الوظائف التي تولاها فقهاء مالكيين، كما أنهم لم يتحرجوا في الغالب من الإقبال على تولي هذه المناصب الحكومية ليس فقط لما يعلمونه من مسيس الحاجة إلى خدماتهم في ظل النظم السياسية كان الاحتكام فيها إلى مقررات الشريعة أمراً معلناً² حيث تواجدوا في مجلس الخليفة فكان لهم قول مسموع، استعملوه في مصالح الناس مع يحيى بن أحمد السكوني، و أبو محمد القلعي³.

إن عهد عبد المؤمن لم يشهد سياسة متشددة مع فقهاء المالكية بعد فتح مراكش حيث أحدث تنظيمًا جديدًا سماه طلبة الحضرة ضم فقهاء العصر و علماءه وقد كان أكثرهم مالكية، حيث استفاد منهم في الكتابة و الإدارة المالية، وقد كانوا على المذهب المالكي، والسياسة ذاتها اتبعتها في الخطط الدينية، فقد تولى القضاء في عواصم الولايات منذ فتح مراكش حتى نهاية الدولة رجال من كبار المالكية، ففي أيام عبد المؤمن كان يقرب الفقهاء فيريهم البر التام و التكرمة⁴ وهذا ما حظي به الفقيه ابن زرقون¹.

¹ -ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، دط، 2009م، ج1، ص352.

² -لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دم، دت، ص 237.

³ -هو عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي، أبو محمد عالم مالكي، باحث مشارك في عدة علوم، من قلعة بني حماد، سكن بجاية و أخذ عن أبي العباس المليتي و غيره، كان حافظا للخلاف العالي و المذهب المالكي، حسن النظر و التوجيه له وجاهة و نباهة، ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 266 267.

¹ -أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي، جامع مسائل الأحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2000م، ج6، ص377.

أما الشورى، وعقد الشروط، والإمامة و الخطابة فتقلدها من المالكية عدد كبير و منذ بداية الخلافة أبرزهم: أبو جعفر أحمد مضاء قاضي يوسف و ظل في منصبه حتى خلافة المنصور،² كما كان الخلفاء يقربون الفقهاء و العلماء و يسألون عن أحوالهم و يمنحونهم المنح، ويكتب اليهم ما يحتاجون إليه من أمور، هذا ما عمده الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن، بينما الخليفة يعقوب المنصور أكرم الفقهاء و رعى الصلحاء و الفضلاء، وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال، وكان يبحث عن العلماء فاجتمع له ما لم يجتمع لخليفة قبله،³ من وحي هذا احتل الفقهاء منزلة مرموقة، ومما وطد تلك المكانة، ودعمها الأموال التي كان يقدرها ولاة الأمر الموحدون للفقهاء و العلماء وكانوا يستدعون العلماء إلى حضرتهم، فتحول الكثير منهم من الفقر و الضنك إلى اليسر و الرخاء نتيجة اتصالحهم بالخلفاء و الأمراء،⁴ فالعالم الفقيه أبو بكر بن خلف الأنصاري المتوفى بفاس سنة 599هـ،⁵ جمع أموالا كثيرة نتيجة اتصالحه بولاية الأمر في مراكش،⁶ كما منح الخليفة محمد الناصر أثناء وجوده بفاس في عام 600هـ جملة من الثياب و ألف دينار لعبد الله موسى الخطيب أمام جامع القرويين،⁷ إلى أوائل عهد المنصور كان المذهب المالكي هو الشائع.⁸

² - هو أبو الحسن محمد بن محمد بن سعيد يعرف بابن زرقون، العالم الفقيه الحافظ، كان متعصب لمذهب مالك قائما عليه سمع من أبيه، و آبي بكر الجدي، تفقه بهما، له كتاب في الفقه لم يكمله سماه تهذيب المسالك في تحصيل مذهب مالك، مولود سنة 539هـ، وتوفى سنة 621هـ، ينظر، محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص178.

² - المراكشي، المصدر السابق، ص247.

³ - ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص، ص212، 210.

⁴ - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ص 240 341.

⁶ - أبو بكر بن خلف الأنصاري، فقيه من أهل قرطبة سكن مدينة فاس، يكنى أبا يحيى، كان حافظا حافلا في علم الفقه ملازما للتدريس، حظي بمخدمة السلطان بمراكش فنال دنيا عريضة، ولى قضاء مدينة فاس، ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص262.

⁶ - ابن الأبار، المصدر نفسه، ص221.

⁷ - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص74، ينظر، علي الجزنائي، المصدر السابق، ص58.

⁸ - رسائل موحدية، تح: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، القنيطرة، ط1، 2000م، ص29.

لقد حظي الفقهاء بعد موته بمكانة رفيعة حتى، إذ كان الخلفاء الموحدون يمشون في جنائزهم و يشيعونهم و يزورهم و يتبرك بهم،¹ فقد صلى الخليفة الناصر على محمد بن علي بن مروان الوهراني، نفس الشيء فعله ولاية الموحدين بحماية مع الفقيه الصالح أبي زكرياء الزواوي.

¹ - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص216.

الفصل الثاني

رغم ما شهدته المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، من اضطهادات من طرف بعض السلطة السياسية إلا أنه لقيَّ العناية والاهتمام من طرف سلطات أخرى، التي عملت جاهدة على رعايته ونشره وحمايته، و خدمته وهي: دول الخوارج، الأدارسة، دولة بني حماد، دولة المرابطين.

المبحث الأول: دول الخوارج والتسامح المذهبي.

1_ الخوارج:

هم الذين خرجوا من صفوف علي في موقعة صفين كانت قولتهم الشهيرة "لا حكم إلا الله"، تعبر عن رفضهم لمبدأ التحكيم و الانصياع وراء بني أمية أو بني هاشم، وكانوا يرون أن الخليفة ليس من الضروري أن يكون من قريش، و قد كفروا عليا و معاوية، و رغم تقتيلهم في النهروان فقد واصلوا معارضتهم للحكم الأموي الذي أسسه معاوية بن أبي سفيان سنة 41 للهجرة/601 للميلاد، و فيما بعد انقسموا الى عدة فرق مثل الإباضية و الصفرية و الأزارقة و النجدات¹. 2_ انتشار _المذهب الخارجي بالمغرب الإسلامي:

ترجع بداية ظهور المذهب الخارجي في بلاد المغرب الإسلامي، الى أواخر القرن الأول هجري، وبداية القرن الثاني هجري² فقد فر الكثير من دعاة الخوارج الى سائر أرجاء المغرب هربا من بطش الأمويين، وضرباتهم ووجدوا في هذه مسرحا بكرًا لنشاطهم، و تربة صالحة لنشر مبادئهم³ فكانوا ينادون دائما بالدولة المثالية، و كانوا يسمونها إمامة لا خلافة، لأن الخلافة في نظرهم غير شرعية⁴ وهكذا أصبحت

¹ _ بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 90.

² _ بوزيان دراجي، دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2003، ص32.

³ _ عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1408هـ/1987، ص55.

⁴ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 114.

بلاد المغرب معقلا لنشاط الخوارج بعد انتشار المذهب الصفري¹ بين بربر المغرب الأقصى، وبعض نواحي المغرب الأوسط، و الإباضي² في المغرب الأدنى و الأوسط،³ حيث يسوق الونشريسي عددًا من النوازل نستنتج منها، أن الخوارج الإباضية و الصفرية انتشروا في المغرب الإسلامي، في أقصى الأطراف المغربية من العالم الإسلامي،⁴ فأول من حمل الدعوة إلى المغرب، كما ذكر أبو زكريا هو سلمة بن سعد و عكرمة بن سعد في أوائل القرن الثاني هجري،⁵ فسلامة يدعوا إلى مذهب الإباضية، و عكرمة يدعوا إلى مذهب الصفرية.⁶

لقد عانق المغاربة المذهب الخارجي، و رأوا فيه المذهب الذي يتجاوب مع واقعهم، فالمذهب الخارجي يفسح المجال لغير العرب بولاية شؤونهم و القيام بأمرهم، ويحررهم بذلك من حكم ولاية الأمويين الذين بالغوا في جمع الأموال من الأهالي بقصد إتحاف أسيادهم في دمشق،⁷ ولاشك أن انتشار الآراء بين البربر أحدث ثورة فكرية في بلاد المغرب، و ساعد على ذلك التنافس الفكري بين الخوارج و بين غيرهم من أتباع المذاهب الأخرى التي وفدت الى بلاد المغرب، و أهم الملامح الفكرية التي

² _ المذهب الصفري: هؤلاء أتباع زيادة بن الأصفر، وهم الذين وافقوا الأزارقة في جميع مبادئها إلا في عذاب الأطفال فإنهم لم يجيزوه، وكفروا الأزارقة وكفرتهم الأزارقة في ذلك. ينظر: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: الملل و النحل، تح و تق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت لبنان، دط، 1986م، ص 67.

³ _ المذهب الإباضي: فرقة من الخوارج أصحاب عبد الله بن أباض التميمي، وقد أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن أباض، وافترقت فيما بينها فرقا. ينظر: البغدادي: المصدر نفسه، ص 67.

⁴ _ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ، دار الثقافة، دار البيضاء _ المغرب، دط، 1985م، ص: 56.

⁵ _ كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دط، 1996، ص 94.

⁶ _ أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، سير الأئمة و أخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1979م/1399هـ، ص 6.

⁷ _ محمود أحمد أبو صوة، مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي و الاقتصادي، منشورات شركة، مالطا، دط، 1997، ص 125.

⁸ _ عبد العزيز فارح، المرجع السابق، ص 484، ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 42 43.

جرت في هذا الصدد كانت مع السنة المالكية و المعتزلة، ثم مع الشيعة الفاطمية، حيث ذكر الونشريسي: قول أحد الفقهاء المالكية منتقداً الخوارج في تصويبهم الرأي القائل بوجوب الخروج عن الإمام الجائر، إذ يقول: فهو إما غير مؤمن أو خارجي مجوس هذه الأمة،¹ ولكن اضطر المالكية الى التحالف مع الخوارج لمواجهة الشيعة الفاطمية

2_ قيام دولة بني مدرار:

وسميت أيضاً بمدينة بني واسول، وهو أحد أجداد بني مدرار² وكان بعض أمرائها على مذهب الخوارج الصفرية، وهو مذهب غالبية السكان في الإمارة،³ كما كانوا سبّاقون الى إنشاء دولتهم في سجلماسة⁴ سنة 140هـ/757م، بعد أن استفادوا من اضطرابات الأحوال في إفريقية،⁵ و يبدو أن هذه الدولة قد نشأت قبل تشييد هذه المدينة⁶ وأول من تولى إمارة الدولة رجلاً سودانياً يدعى عيسى بن يزيد الأسود،⁷ فيذكر ابن عذاري في هذا الصدد: " ثم قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود، وولوه على

¹ _أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس و المغرب، إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة العربية، دط، 1401هـ/1981م، ج5، ص: 34.

² _بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص 40.

³ _بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 49.

⁴ _ سجلماسة: هي مدينة في جنوب المغرب، في طرف بلاد السودان، بينها و بين فاس عشرة أيام، في منطقة جبل دزن، في وسط رمال كرمال زرد، ينظر: البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تح و تع: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1412هـ/ 1992م، مج 2، ص 694.

⁵ _ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 112.

⁶ _ بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص 40.

⁷ _ عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 348.

أمرهم¹ والتف حوله قبائل كثيرة من زناتة الصفرية، و سكنوا معه في خيام و كان عددهم يزيد عن أربعة آلاف،² و أسسوا حصناً منيعاً في وسط المدينة، أسموه المعسكر،

كما أسسوا المسجد الجامع و دار الإمارة ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن،³ و كان آخر أئمة سجلماسة اليسع بن مدرار إذ بقي في الحكم 27 سنة، أي الى سنة 297هـ/909م عندما دخل أبو عبيد الله الشيعي بعدما استولى على رقادة، و تاهرت و سجلماسة،⁴ وكانت فرقة الخوارج الصفرية أول فرقة واجهتها المالكية.⁵

ـ موقف أمراء بني مدرار من المذهب المالكي:

أـ كانت سجلماسة حاضرة، رحل علمائها الى المدينة المنورة، و رجعوا إليها و درّسوا العلوم بها، و غدت مأوى للعلماء و الصالحين و الأمراء،⁶ فذكر حسين السائح: كان علمائها ممن أخذ عن الإمام مالك بن أنس بالمدينة، ورجع إليها ودرّس العلوم بها وبقيت مأوى للصلحاء و العلماء و الأمراء،" كما أن الرعاية السجلماسية بتأثير العنصر الربضي، و المد الفكري الأندلسي قد أصبحت نسبة مهمة منهم ذات اتجاه سني مالكي، وهي نسبة لكمها و نوعها جديدة بأن يحسب لها حسابها لما لها من تأثير في الأحداث.

بـ اعتناق أهل سجلماسة للمذهب المالكي هو الذي دفع بالشاكر لله للالتزام بالمذهب المالكي،⁷ فقد ذكر الشرحبيلي: لما اعتلى حكم سجلماسة محمد بن الفتح بن ميمون الأمير (332هـ _ 349هـ) قطع

¹ _ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 156.

² _ عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 347.

³ _ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 160.

⁴ _ سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 417.

⁵ _ عبد العزيز فارج: المرجع السابق، ص 484.

⁶ _ عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 356.

⁷ _ نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص 68.

الدعوة الشيعية، ولم يستبدل بها نحلة سلفه الصفرية، بل أعلن انتصاره للمذهب السني المالكي،¹ وذكر ابن خلدون: "وأخذ بمذاهب أهل السنة ورفض الخارجية."²

سواء أكانت دعوة الشاكر لبني العباس، أم لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس، فهو في كلا الحالتين قد انتصر للمذهب السني المالكي، ولم يعد الشيعة الروافض الى بدعة سلفه الصفرية الخوارج،³ وهذا ما ذكره الناصري: و قد ادعى محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله، الخلافة و تسمى بأمر المؤمنين، و ضرب السكة باسمه وكان سنياً مالكي المذهب.⁴

جـ_ كما أن العلاقات الودية بين إمارتي سجلماسة و تاهرت و إمارة قرطبة، كان لها انعكاس إيجابي على انتشار المذهب المالكي.⁵

3_ قيام الدولة الرستمية:

¹ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 66.

² _ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 147.

³ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 67.

⁴ _ احمد بن خالد الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 89.

⁵ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 67.

أسس الرستميون في المغرب الأوسط دولة عاصمتها تاهرت،¹ و من أسباب اختيار هذا الموقع الاستراتيجي: المكان الجبلي و غنى الموقع بالماء و المراعي،²

وقد تأسست تاهرت الرستمية أو الحديثة ما بين عام 144هـ _ 148هـ،³ على يد عبد الرحمن بن رستم الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة" ولي عبد الرحمن بن رستم سنة ستين و مئة، و ذكر بعضهم أنه ولي سنة اثنين و ستين ومئة"⁴ وقد تبنت المذهب الإباضي، كما تعتبر من أوائل الدول المنفصلة عن الخلافة العباسية،⁵

التي حرصت على إبعاد النفوذ الإباضي عن القيروان عاصمة ولاية المغرب، أو المناطق القريبة منها، لأنها كانت تهدد الوجود السياسي،⁶ كما شهد المغرب الأوسط في هذا العهد ازدهارًا تجاريًا كبيرًا، و نموًا عظيمًا في حركة الاقتصاد حيث ساعد على استقرارها.⁷

تسامح الأئمة الرستميين:

¹ تاهرت: بين مدينة تاهرت و البحر أربع مراحل، وكانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين، احدهما قديمة و الأخرى محدثة، و القديمة من هاتين المدينتين كانت ذات سور، وهي على قمة جبل قليل العلو بها ناس من البرابر، ولهم تجارات و بضائع و أسواق عامرة. ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، دط، دت، مج2، ص 256.

² _ سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 306.

³ _ محمد بن رمضان الشاوش، الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، ط1، 1966م، ص 21.

⁴ _ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، قسنطينة _ الجزائر، دط، دت، ج1، ص 24.

⁵ _ ليديري بلخير، العلاقات السياسية للدولة الرستمية و دول المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث هجري التاسع ميلادي، مجلة المقتطف المصري التاريخية، 2010م، العدد5، ص: 35.

⁶ _ محمد علي، الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين 2_3هـ / 8_9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007_2008م، ص 96.

⁷ _ عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 210.

عرف الأئمة الرستمين بتسامحهم الذي فسح المجال أمام أنصار المذاهب المختلفة، بالإقامة في المدينة والدفاع عن آرائهم، ولعل أن السر في ذلك يرجع الى مؤسسي هذه الدولة وحكامها كانوا فقهاء و علماء، و ذلك ما حملهم على تقبل المذاهب الإسلامية الأخرى و السماح بوجودها،¹ وهو ما أدى الى تزاخم الآراء و المذاهب بتاهرت الرستمية ولعل هذا التزاخم في المذاهب و النحل هو الذي دفع الرحالة اليعقوبي أن يطلق على تاهرت الرستمية عراق المغرب،² وهذا يعني أن تاهرت قد عاشت حرية فكرية،³ جمعت بين مذاهب مختلفة من إباضية (وهبية، نكارية)، وبعض الواصلية (المعتزلة)، والسنة (مالكية و بعض الأحناف أيضاً)، وقد أفسح الرستميون المجال لهذه الفرق و المذاهب في عقد المناظرات، وجلسات الجدل الطويلة، التي كان علماء الإباضية دائماً طرفاً فيها، وكانت تعقد هذه المناظرات خارج تاهرت على نهر مينة،⁴ يذكر ابن الصغير في هذا الصدد: " ليس أحد ينزل بهم من غرباء، الا استوطن معهم و ابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلاد و حسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، و أمانه على نفسه، وماله حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي، و هذه لفلان البصري، و هذه لفلان القروي، وهذا مسجد القروين ورحبتهم، و هذا مسجد البصريين، و هذا مسجد الكوفيين."⁵

_ المذهب المالكي بالدولة الرستمية:

¹ _ مسعود فلوسي، المرجع السابق، ص 76.

² _ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، دط، 1980، ص 109.

³ _ ليبدري بلخير، المرجع السابق، ص 55.

⁴ _ عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 136، ينظر أيضاً: راضي دغفوس، المرجع السابق، ص 136.

⁵ _ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين القرن الثالث هجري، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، ددن، الجزائر، دط، 1405هـ/1985م، ص 43.

انتقل المذهب المالكي الى تاهرت الرستمية عن طريق الحج أو التجارة، أو عن طريق علماء مالكيين قدموا إليها للإقامة أو مروراً،¹ وقد حظي المالكية بتسامح لأبعد الحدود حتى أن بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت في أواخر الحكم الرستمي،² فمن بينهم: إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي المالكي: وهو فقيه أهل التنس وإليها نسبه، انتقل الى الأندلس³ وقال الضبي: كان يفتي في جامع الزهراء، و قد حدث بحكايات من أمالي أبي علي القالي توفي في صدر شوال سنة 387هـ،⁴ بكر بن حماد التاهرتي: أخذ عن عون بن يوسف الخزاعي و سحنون بن سعيد بالقيروان، ثم تصدر الإملاء و العلم بجامعها الكبير، فارتحل إليه الكثير من أهل إفريقية و الأندلس للأخذ عنه،⁵ و رجل يقال له ابن الصغير المالكي له شأن في الفقه،⁶ وهو تاجر من أصل مشرقي ويدين بالمذهب المالكي، بفضل إقامته داخل مدينة تاهرت الإباضية، فهذا الاجر الفقيه يذكر بأن سكان لمنطقة من غير الإباضيين كانوا على درجة كبيرة من القوة و الأهمية، إذ كانت أسواقهم الخاصة، و مساجدهم و كان يناظر الفقهاء الإباضية في مسائل بحتة،⁷ ويحكى كثير عن محاوراته و مساجلاته مع المشايخ الإباضية في الكثير من المسائل الفقهية و المذهبية دون أن يتعرض لإرهاب أو بطش،⁸ وهناك مثال على ذلك: مناظرة ابن الصغير مع أبي الربيع سليمان الهواري الإباضي يقول ابن الصغير: قال الإباضي من أين زعمت و زعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين و العراقيين أن الرجل إذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة و أدركت أن لا خيار لها في نفسها، وأنتم تقولون

¹ _ ليديري بلخير، المرجع السابق، ص 96.

² _ بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص، 294.

³ _ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 85.

⁴ _ ابن الفرضي(ت403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط2، 1410هـ/1989م، ص 14.

⁵ _ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 60.

⁶ _ جودة عبد الحكيم يوسف، المرجع السابق، ص: 284.

⁷ _ محمود أحمد أبو صوة، المرجع السابق، ص 126.

⁸ _ محمود إسماعيل عبد الرزاق، دول الخوارج، المرجع السابق، ص 296.

أن الرجل إذا زوج أمته و عتقت إن لها الخيار، و لا فرق بين الأمة و الصغيرة لأن الأمة لم يكن لها حكم في نفسها و إنما كان الحكم لسيدها، فلما عتقت و صار الحكم إليها جعلتم لها الخيار و الصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها و ان الحكم لأبيها، فلما أدركت صار الأمر إليها، فلما منعتموها أجزتم للأمة و المعنى واحد، فقلت له: إنما أجزنا نكاح الصغار لأن النبي صلى الله عليه و سلم تزوج عائشة بنت أبي بكر— رضي الله عنهما—، وهي بنت تسع.¹

نذكر منهم أيضاً أبو الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي،² و القاسم بن عبد الرحمن ، و زكريا بن بكر،³ ولما كان المذهب الإباضي أقرب إلى مذاهب أهل السنة، فلم يجد فقهاء القيروان ما يحاول دون التحالف مع الإباضية لمناوأة المذهب الشيعي، وقد ظهر هذا الاتفاق بشكل واضح في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.⁴

المبحث الثاني: تبني الأدارسة للمذهب المالكي.

¹ _ ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص: 50 51.

² _ توفي يوم الجمعة صلاة العصر لاثنتي عشرة من شهر ربيع الأول، و دفن يوم الأحد ضحى في داخل الجزيرة وهو ابن ست و تسعين سنة. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 440.

³ _ عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 238.

⁴ _ محمود إسماعيل عبد الرزاق: دول الخوارج، المرجع السابق، ص 296.

1_ قيام دولة الأدارسة 172 هـ_375هـ:

شهد المغرب الأقصى قيام إمارة علوية جديدة، هي دولة الأدارسة في فاس،¹ وكانت هذه المملكة حضرية مدنية صميمة،² وكان السبب في دخول الأدارسة للمغرب أن الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _، قام على أمير المسلمين أبي جعفر المنصور العباسي بالحجاز، منكلاً لجوره و عسفه و ذلك سنة خمس و اربعين و مئة.³

كان إدريس بن عبد الله⁴، مؤسس الدولة داعية بتلمسان لمحمد النفس الزكية ثم لأخيه يحيى بن عبد الله، ثم مقابلاً بالفخ وهاربا منها عبر مصر الى المغرب الأقصى،⁵ ونزل بمدينة ويلي،¹ التي كان عليها عبد الحميد الأوربي، وكان ذلك في ربيع الأول من سنة اثنين و سبعين و مئة، واستجابة له قبائل البربر، وعلى أمره وشاع خبره، ولما تمت له البيعة، وتمكن سلطانه،²

¹ _ فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش، مدينة فاس مدينتان مفتقرتان عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، ولكل واحدة من العدوتين خاصية ليس في الأخرى، وهي غرب سبتة وبينهما مسيرة عشرة أيام. ينظر: البغدادي، مرصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، المصدر السابق، مج3، ص1014. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، , در صادر، بيروت، دط، 1397هـ/1977م، مج 4، ص 230.

² _ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج2، ص 421.

³ _ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص15.

⁴ _ هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب، واليه نسبتها، كان مع أخيه الحسن سنة 172هـ، نزل بمدينة ويلي، توفي سنة ست وسبعين ومئة. ينظر: أبي العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب بت القنفذ القسنطيني، الوفيات، تح وتع: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م، ص 139.

⁵ _ محمود إسماعيل، الأدارسة 172_375هـ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1411هـ/1991م، ص 55

وفدت عليه الوفود من جميع البلدان، وقصد اليه الناس من كل جانب ومكان، فاستقام ملكه بالمغرب ففتح تامسنا ومدينة شالة و تادلة الى بلاد ماسة،³ فلما بلغ خبره هارون الرشيد فأنفذ إليه سليمان بن الجريير المعروف بالشماخ الى المغرب لاغتياله، وكان ذلك سنة 177هـ.⁴

عندما توفي إدريس الأول ترك زوجته كنزة بنت عبد الحميد الأوربي حاملا، فولدت ولدا كان شديد الشبه بأبيه،⁵ فسماه راشد إدريس باسم أبيه، وأقرأه القرآن فحفظه، وله من السنين ثمانية اعوام، وعلمه السنة و الفقه،⁶ فقام إدريس الثاني⁷ ببناء مدينة فاس لتكون مركز الدولة الجديدة، وأصبحت مركزا علميا، زاوجت بين ثقافة القيروان و ثقافة الأندلس،⁸ فالدولة الإدريسية كانت الدولة العربية الإسلامية الثانية بعد الأندلس، التي فصمت عروشها عن دولة الوحدة العربية الإسلامية، ومن مميزاتا أنها أسست قواعد الحكم الاستقلالي المغربي، ووحدت ما بين العرب المستوطنين و الكنعانيين الأصليين سكان البلاد

¹ _ ويلي: هي مدينة قرية طنجة. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، المصدر السابق، ص1445.

² _ علي الجزنائي، المصدر السابق، ص12.

³ _ احمد بن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ص , ص: 20, 21.

⁴ _ محمود إسماعيل، الأدراسة، المرجع السابق، ص 63.

⁵ _ بان علي محمد البياتي، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3_5هـ / 9_11م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، اذار 1995م، ص 22.

⁶ _ ابن ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 25

⁷ _ هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، ثاني ملوك الأدراسة في المغرب الأقصى، ولد في ويلي سنة 177هـ، فكلفه راشد مولى أبيه إدريس، توفي سنة ثلاث عشرة و مائتين. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص162.

⁸ _ حسين السائح، المرجع السابق، ص 150.

أي البربر،¹ لكن ما لبثت أن أصابها الانحلال بعد أن وزع أبناء إدريس الإرث بينهم فاستقل كل واحد بجزء من البلاد، حتى نزح الفاطميون ملك الأدارسة، و كان ذلك سنة 375هـ.²

2_ المذهب المالكي في دولة الأدارسة:

تعتبر الدولة الإدريسية علوية النسب ولكنها سنية المذهب، و هذا هو الفاصل بينها وبين دولة الشيعة، ذات المذهب المخالف للمذاهب السنية في الجوانب الكلامية و الفقهية،³ لقد اختلفت المصادر فيمن بادر بإتباع مذهب مالك هل أنه إدريس الأول أم الثاني؟

ذكر محمود اسماعيل ان إدريس الأول حرص على إرضاء كافة القبائل على اختلاف مذاهبها، حيث استرضى أهل السنة " حين دعى الى كتاب الله وسنة نبيه"، كما استرضى الخوارج حين لفت الى " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"،⁴ حيث شهد المذهب المالكي ازدهارا عظيما على عهد إدريس الأول، الذي ما إن اطمأن لتدعيم أركان دولته، وتوطيد دعائم ملكه حتى جمع الناس على عقيدة السلف، ودعاهم الى الاقتصار على مذهب الامام مالك، وجاءهم بالموطأ فنشره بينهم،

¹ _ نجيب زيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، تقدم أحمد بن مسودة، دار الأمير، بيروت، ط 1، 1415هـ/1995م، ص 146.

² _ عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د ت، ص 247.

³ _ بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص 205.

⁴ _ محمود اسماعيل، الأدارسة، المرجع السابق، ص 58.

وكان يقول: نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه، وذلك لرواية الامام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل، وكذلك لما كان يراه مالك أيضا و يفتي به من خلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وصحة البيعة لمحمد النفس الزكية شقيق إدريس،¹ حيث يلتقي المذهب المالكي مع الدعوة الإدريسية في جميع المبادئ الأساسية من الاعتصام بالكتاب والسنة، ونبد البدع وخاصة بدع الاعتقاد ومناهضة أصحابها، وحملهم على الجادة انطلاقا من إدريس الأول.²

بينما ذكر الشرحييلي: أن أول مرحلة من مراحل اتصال المغاربة بالمذهب المالكي في منطقة النفوذ الإدريسي، كانت عن طريق الدفعة الأولى الوافدة الى المغرب سنة 189هـ،³ وهي مزيج من العرب من إفريقية و الأندلس، فاجتمع لدى إدريس الثاني من الأزد و قيس و مذجح و يحصب والصدف نحو خمسمائة فارس،⁴ ذكر في هذا الصدد اسماعيل بن الأحمر: "لما استقر إدريس بن إدريس بن عبد الله في الخلافة، و قدمت عليه الوفود،"⁵ عمل على تقريب العرب منه، فاتخذ له كوزير عمير بن مصعب الأزدي،⁶ ويذكر ابن خلدون: "فاستوزر إدريس مصعب بن عيسى المسمى بالملحوم"،⁷ الذي قدم مع

¹ _ مسعود الفلوسي، المرجع السابق، ص 73.

² _ نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص 126.

³ _ محمد بن حسن الشرحييلي، المرجع السابق، ص 56. ينظر: سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 452.

⁴ _ عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 263.

⁵ _ إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، دط، 1972، ص 133.

⁶ _ محمد بن جعفر الكتاني: الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر مناقب قطب المغرب وتاج مدينة فاس، ص 58.

⁷ _ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 18.

قومه الأزدي مبايعين لإدريس الثاني، فقربه الامام منه وعينه وزيراً،¹ وأحسن نزله واستخدمه في الامارة والحجابه و زوجه من ابنته عاتكة،² وقد لعب دورا بارزا في القيادة، فساهم في بناء مدينة فاس³، يذكر الجزنائي: " فاستشار إدريس وزيره عمير بن مصعب الأزدي ليرتاد له موضعا لمدينة، فسار عمير في جماعة من قومه لينظر ما طلب"⁴ وأخلص للإمام إخلاصا قل نظيره،⁵ واتخذ عامر القيسي قاضيا له،⁶ كان رجلا صالحا ورعا فقيها، سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا⁷ وكان عامر القيسي يحكم وفق المذهب المالكي، الذي انتشر في المغرب والاندلس في وقت واحد وهو نهاية القرن الثاني الهجري،⁸ و استكتب منهم: أبا الحسن عبد الله بن مالك الأنصاري الخزرجي،⁹ وهو من تولى عقد شراء إدريس الثاني للبقعة التي بنيت عليها العاصمة فاس.¹⁰

³ _حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، دار الجليل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 14، 1416هـ/1996م، ج2، ص315.. ينظر: سعدون عباس نصر الدين، دولة الادارسة العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1408هـ/1978م، ص 98.

² _ اسماعيل بن الاحمر، المرجع السابق، ص 134

³ _ سعدون عباس نصر الدين، المرجع السابق، ص100.

⁴ _ علي الجزنائي، المصدر السابق، ص 18

⁵ _ حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص315.

⁶ _الكتاني، المصدر السابق، ص58.

⁷ _ ابن ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 29.

⁸ _ حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص 126.

⁹ _ السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 72.

¹⁰ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 57.

ذكر الكتاني أن إدريس الثاني و جميع العلماء من أهل المغرب الأقصى كانوا على مذهب مالك،¹ مما يشير الاستغراب أن الأدارسة كانوا من الشيعة الزيدية،² يذكر حسين مؤنس أنه من الاخطاء الشائعة القول بان دولة الأدارسة، دولة شيعة لأن مؤسسيها و أمرائها كانوا من آل البيت، والحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم لم يكونوا شيعيين، فقد كانوا سنيين ولم يعرفوا في بلادهم غير الفقه المالكي،³ وكان القضاء في دولتهم على المذهب المالكي، لأن الأدارسة كانوا يعتبرون أنفسهم أئمة المسلمين بصرف النظر عن هوياتهم المذهبية، كانوا يؤمنون بالإسلام بدون مذاهب و يطبقون أحكام الشريعة وفق القرآن وسنة جدهم النبي صلى الله عليه و سلم، والمذاهب ظهرت في العصر العباسي وهي لا تخالف من جوهر الدين فلا مانع- من وجهة نظرهم- تطبيق الفقهاء في دولتهم مذهب الأمام مالك خاصة أنه هناك عامل مشترك يجمع بين الفريقين، فقد ايد الإمام مالك ثورتهم ضد العباسيين سنة 140هـ/762م.⁴

3_أعلام المالكية بالمغرب الأقصى على عهد الأدارسة:

احتفظت لنا كتب التراجم، بعدد من أعلام المالكية بالمغرب الأقصى بالفترة الإدريسية،⁵ ومن أبرز هؤلاء: جبر الله بن القاسم الأندلسي الفاسي من مشاهير فقهاء فاس و متقدميهم، سمع منه عيسى بن

¹ الكتاني، المصدر السابق، ص 135

² _ سعدون عباس نصر الدين، المرجع السابق، ص 126.

³ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 123.

⁴ _ سعدون عباس نصر الدين، المرجع السابق، ص 126.

⁵ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 62.

سعادة الفاسي،¹ وذكر ابن القاضي: " أنه من أدخل علم مالك الى فاس"² ومن الذين أخذوا عنه أبو موسى عيسى بن سعادة الفارسي، وأخذ كذلك عن أبي الحسن بن الإمام، و حمزة بن محمد الحافظ و غيرهم توفي بمصر سنة خمس و ثلاث مئة،³ وهو من فقهاء مدينة فاس و مشاهير المغرب،⁴ ودراس بن إسماعيل كان يعرف بأبي ميمونة المحدث،⁵ قال عنه القاضي أبو الوليد بن الفرضي: كان أبو ميمونة فقيها، حافظا للرأي على مذهب مالك، ذكر عنه المالكي: أنه من أحفظ أهل زمانه بمذهب مالك و أصحابه،⁶ وأبو هارون العمري وهو عمران بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توفي بالبصرة سنة ثلاث عشرة و ثلاثمئة،⁷ و هو من بصره المغرب، قرب مينة فاس، خرج مع جماعة من أهل بلده، فوصلوا الى المدينة، فقصده دار جده عمر رضي الله عنه،⁸ وأحمد بن حذاقة وهو من فقهاء البصرة، وكان أحمد فقيها من نخط أبي هارون،⁹ وبشار بن بركانة.¹⁰

¹ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 6، ص 85. ينظر: قاسم علي سعد، المصدر السابق، ج 1، ص 374.

² _ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 174

³ _ قاسم علي سعد، المصدر السابق، ج 2، ص 908.

⁴ _ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 429

⁵ _ قاسم علي سعد، المصدر السابق، ص 465.

⁶ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 6، ص 82

⁷ _ قاسم علي سعد، المصدر السابق، ص 908

⁸ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 5، ص 148.

⁹ _ قاسم علي سعد، المصدر السابق، ص 196

¹⁰ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ص 149

المبحث الثالث: بني حماد والمذهب المالكي.

1_ قيام دولة بني حماد:

أمضى حماد عشرة سنوات كاملة (395_405هـ/1004_1014م) وهو يعمل على تحقيق شخصية دولته، و إذا كان حماد قد نجح في زحزحة زناتة و في بعثتها، بحيث لم تقم لها قائمة في المغرب الأوسط،

باستثناء ناحيتي ما بعد تاهرت و المسيلة شرقا، فإن هذا كان تحقيقا_ من جانبه_ للأساس المهم الذي قام عليه العقد السياسي بينه و بين باديس، و بالتالي بدأ حماد يشعر بأن من حقه أن يبدأ في تدعيم شخصية دولة مستقلة له و لأبنائه،¹ و منذ ذلك العهد أصبحت دولة بني زيري مقسمة الى فرعين: فرع أحفاد باديس بن المنصور بالقيروان، و فرع خلفاء حماد بن بلكين بالقلعة، و سوف يحكم بنو زيري الأصليون في القيروان و يتكون المغرب الأوسط الى بني حماد،² ففي سنة 398هـ/1007م، أذن باديس لحماد بن بلكين بن زيري بن منقوش الصنهاجي بتأسيس قلعة بني حماد، التي سميت أيضا قلعة حماد و قلعة أبي طويل، فتقع هذه المدينة على بعد 36 كلم شمالي شرقي المسيلة في جبل عجيسة المعروف في أيامنا هذه بجبل المعاضض،³ و ذكر عنها ابن خلدون "ونقل إليها أهل المسيلة و أهل حمزة و خربهما و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها، و تم بناؤها و تمصيرها على رأس المائة الرابعة و شيد من بنيانها و أسوارها، و استكثر فيها المساجد و الفنادق، فاستبحرت في العمارة و اتسعت في المدن،"⁴ ويقول لسان الدين بن الخطيب: أن حماد كان فريد دهره، و فحل قومه ملكا كبيرا و شجاعا، قد قرأ الفقه، وناظر في كتب الجدل وأخباره المشهورة.⁵

نجح حماد في إقامة دولة مستقلة له و لبنيه منذ سنة 406هـ/1017م، على أساس الصلح الذي انعقد بينه و بين الزيريين و بهذا دخلت الدولة في فترة سلام معهم، و بهذا بدأ حماد في فترة حكمه المتبقية في توطيد دعائم دولته التي أنهكتها الحروب مع أبناء أخيه المنصور، إذ زوج ابنه عبد الله من أم العلو أخت العزيز

¹ _ عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م، ص: 65.

² _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 191.

³ _ رشيد بو روية، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1391هـ/1977م، ص: 20.

⁴ _ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 227.

⁵ _ رشيد بو روية، المرجع السابق، ص 22.

بن باديس، فازدادت المودة و استحكمت،¹ وهكذا عندما يتوفى حماد بعد 9 (تسع) سنوات من حكمه، في سنة 417هـ/1026م فإن المعز يستقبل النبأ بما يستحقه من التأثر و الأسى، لما يربط بينهما من صلة قرابة و المصاهرة،² فخلف حماد بعد وفاته ابنه القائد سنة 417هـ، فولى أخاه يوسف حاكما على المغرب، و غلان على حمزة دام حكمه خمسة وعشرين سنة مرت خلالها الدولة الحمادية بأحداث كثيرة منها انقطاع العلاقات الفاطمية الزيرية، و غزو القائد بن حماد قبيلة زناتة، و إخضاع مدينة فاس لسلطته،³ و أخيرا تمكن عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين من دخول بجاية⁴ سنة 547هـ/1152م،⁵ و اصطحب معه يحيى بن العزيز آخر أمراء الدولة الحمادية الى مراكش، واتسع في إكرامه، و بذلك انتهت الدولة الحمادية في الجزائر.⁶

2_ تبني حماد بن بلكين للمذهب المالكي:

كان المغربان الأدنى و الأوسط خلال فترة كبيرة من عمر الدولة الحمادية يخضعان رسميا للنفوذ الشيعي، و كانت صنهاجة قد أصبحت خليفة للفاطميين في حكمها، بعد أن أسدت إليهم خدمات جليلة في سبيل ملكهم و مذهبهم في المغرب،⁷ فنجد في عهد بني حماد بالمغرب الأوسط شيعيين و سنيين و إباضيين و مسحيين و يهود،⁸ فقبيلة زناتة سنية و قبيلة كتامة شيعية و ورقلة إباضية، و الى

¹ _ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص: 112 113.

² _ سعد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص 409.

³ _ عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ص ص 59 60.

⁶ _ بجاية: هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية و المغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن

بلكين، في حدود سنة 475هـ بينها و بين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 339.

⁵ _ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 174.

⁸ _ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 38.

⁷ _ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 256.

⁸ _ رشيدة بورويبة، المرجع السابق، ص 163.

جانبا هذا كان يقطن بمدينة بجاية و قلعة بني حماد أقلية من أجانبا مسيحيين و اليهود لهم كنيسة يؤدون فيها الصلوات،¹ لقد نبذ حماد الشيعة و فرض على الرعية المذهب السني، و بقي من خلفه من الأمراء الحماديين عليها، الى أن انقرضت الدولة، و كانوا يخطبون على المنابر لبني العباس السنيون²، فيذكر ابن خلدون في هذا الصدد: " إن حماد خالف دعوة باديس، و قتل الرافضة و أظهر السنة، و رضي عن الشيخين و نبذ طاعة العبيديين جملة، و راجع دعوة آل عباس و ذلك سنة خمس و أربعمئة"³ أما تلمسان فمنذ أن توفي صاحبها أبو قرّة اليفرني الخارجي، و استولى عليها الأدارسة أخذ سكانها تلايب المذهب المالكي، و مما زاد المذهب رسوخا فيها استلاء المرابطين على المغرب الأوسط، فكانوا سنيين فيعد قيامهم مرحلة هامة من مراحل انتشار الإسلام السني المالكي في المغرب،⁴ فعملت الأسرة الحمادية من زمن مؤسسها على توحيد بلاد المغرب الأوسط عقديا و فقهيا و التشريع بالمذهب المالكي و هذا ما أدى في النهاية الى انتشار المذهب إمام دار الهجرة في كامل بلاد المغرب الأوسط و الى تراجع تيارات الإباضية الى الجنوب و انحصارها في واحات ورجلان، و بلاد بني مصعب (بني مزاب)،⁵ فبعد القطيعة لم يلقى حماد بن بلكين أية مقاومة أية مقاومة في هذا الشأن، بل أنه كان يقترب بهذه القطيعة الى نفوس الشعب.

قد سار القائد بن حماد الذي ولي الأمر بعد أبيه على نفس النهج الذي اختطه والده، في الخروج على طاعة الفاطميين،⁶ و قد سار الحماديون عامة على نفس الطريق و تبعهم الزيريين فلم يهتموا يوما بالمذهب الشيعي، وإنما استغلوه سياسيا، وأما على المستوى الفكري فكان المذهب المالكي هو المذهب

¹ _ عمار عمورة، المرجع السابق، ص 63.

² _ محمد طمار، المرجع السابق، ص، 197.

³ _ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 227.

⁴ _ محمد طمار، المرجع السابق، ص197.

⁵ _ عمار عمورة، المرجع السابق، ص 63.

⁶ - السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 675.

السائد عند المغاربة، بل إنه كان بالنسبة الى أكثر منهم أكثر من مذهب " كان مذهب وعقيدة و وطنية".¹

حضي المذهب المالكي على عهدهم بالمكانة البارزة، حيث لقي من رجال الدولة كل دعامة ورعاية في العلانية و الخفاء على السواء، حتى أصبح هو مصدر الأحكام و القضاء في الدولة،² كما أن وجود مذهب الإمام مالك و انتشاره من دون المذاهب الإسلامية الأخرى أدى الى توحد التوجه الفكري لأغلب سكان المغرب العربي عامة، و الدولة الحمادية بوجه أخص، فسلمت بذلك الدولة من ذلك النزاع المذهبي الذي كان له أثر سلبي في المشرق العربي،³ فكان من نتائج اهتمام الحماديون بالمذهب المالكي و انتصارهم له، انتشار الدراسات الفقهية على المذهب المالكي، و أصبحت الكتب المعتمدة في المذهب هي المراجع الرئيسية المعتمدة في التفقه و الاجتهاد وذلك مثل: الموطأ للإمام مالك بن أنس— رضي الله عنه—، و المدونة برواية سحنون، و التلقين للقاضي عبد الوهاب، و الواضحة لابن حبيب السلمي، و العتبية للعتبي، و الأسدية لأسد بن الفرات.⁴

3_ دور العلماء المالكية في الدولة الحمادية:

لقد وجد في المدن الحمادية الكبرى كالقلعة والجزائر و تاهرت وبونة وبجاية التي وصفها الغبريبي: "بلغت في عهد الحماديين درجة كبيرة من التقدم والعمران، واحتلت مكانة مرموقة بين حواضر العلم في المغرب و المشرق، فأما الكثير من العلماء مصر والشام والأندلس، فانتعشت الثقافة العربية، و ازدهرت

¹ _ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 256.

² _ مسعود فلوسي، المرجع السابق، ص 80.

³ _ تحريشي محمد، أسس المكون الثقافي للحماديين، مجلة محكمة تعني بقضايا التراث الجزائري، دراسات جزائرية، معهد اللغة العربية وأدبها، جامعة وهران، العدد 1، جوان 1997، ص 55.

⁴ _ مسعود الفلوسي، المرجع السابق، ص 81.

الحركة العلمية، حتى قيل أن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتياً في زمن واحد¹ علماء أجلاء يقصدهم طالبوا العلم من الأندلس ومن البلدان المغربية الأخرى، كانت لبعضهم شهرة على امتداد العالم الإسلامي، كما أن بعض من هؤلاء قد رحلوا إلى بلدان أخرى في العالم الإسلامي، وكانت لهم الشهرة به،² وأشهرهم:

أ_ مروان بن محمد الأسدي³ دخل القيروان وطلب العلم بها، ثم استقر ببونة بلاد إفريقية فسكنها ونسب إليها، وكان فقيهاً محدثاً وله كتاب كبير شرح فيه (147) الموطأ، مات قبل أربعين و أربعمئة، و كان مشهوراً بتلك البلاد⁴ وقد كان معول الناس يومئذ في دراسة الموطأ.⁵

ب_ موسى بن حماد الصنهاجي: يكنى أبا عمران كان فقيهاً حافظاً للرأي، عالماً بالمسائل والأحكام، مقدماً في معرفتها وكان من جلة القضاة في وقته.⁶

ج_ موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري من أشير،¹ وكانت إقامته بدلس من عمل بجاية، وعني بالرواية ثم انتقل إلى مدينة الجزائر من عمل بجاية، و أمم بها صلاة الفريضة، وأخذ عنه إلى أن توفي سنة 589هـ.²

¹ _ أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص 7.

² _ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 254.

⁴ _ أبو عبد الملك البوني، و أصله من الأندلس. ينظر: أبي عبد الله بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله الحميدي (ت 488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، مطابع سجل العرب، القاهرة، دط، 1966م، ص 342

⁵ _ الضبي (599هـ)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م، ج1، ص: 614.

⁵ _ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 192.

¹ _ ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م، ج2، ص 246

د_ أحمد بن واضح: و يكنى أبا القاسم أخذ من فضل بن سلمة، وكان حافظاً للفقهاء، بصيراً بالمناظرة فيه، تفقه على شيوخ القيروان، قال ابن الحارث: كان جليسا بالمجالس في القيروان و نفسه بيجانة ولم يكن له شغل إلا الدرس و المناظرة.³

ه_ أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التاهرتي لبزاز: يكنى أبو الفضل، قال أبو عمر ابن عبد البر سمع أبو الفضل التاهرتي من أبي ذليم و قاسم بن أصبغ، و وهب بن مسرة، وكان ثقة فاضلاً، أخبرنا أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري قال: حدثني أحمد بن القاسم التاهرتي بكتاب صريح السنة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري و بكتاب فضائل الجهاد.⁴

المبحث الرابع: دولة المرابطين دولة الفقهاء.

1_ قيام دولة المرابطين:

توحدت قبائل الملتمين⁵ تحت راية عبد الله بن ياسين¹ الذي أنشأ رباطاً، يعبد فيه الله تعالى حوالي ثلاثة أشهر هو وأصحابه، فتسامع الناس بأخبارهم، وأنهم يطلبون الجنة، والنجاة من النار،² فأخذ الناس

² _ أشير: مدينة في جبال المغرب من طرف إفريقية الغربي مقبل لبجاية في البر، و أول من عمرها زيري بن مناد، و كان سيد هذه القبيلة في أيامه و شرع في إنشائها سنة 324هـ / 935م. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ص202.

² _ ابن الأبار، المصدر السابق، ص183.

³ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 156.

⁴ _ الحميدي، المصدر السابق، ص 143.

¹ _ الملتمين: هم قبائل اتخذوا اللثام شعاراً لهم، يميزهم عن سائر قبائل المغرب، وهم يتخذون منذ طفولتهم، فيعتقدون أن ظهور الفم عورة يجب إخفائها، فلا يفارقونه في أي حال، والرجال فقط هم الذين يتلثمون، أما النساء فهن حواسر الوجوه، ينظر: عصمت عبد

يتوافقون على ذلك الرباط، حتى كثر التائبون فاستخدم أسلوب الدعوة إلى الله³ حتى اجتمع له نحو ألف رجل من أشرف صنهاجة، سماهم المرابطين⁴ لملازمتهم لذلك الرباط⁵، وبعد إتمام الجانب الدعوي، كان لابد الالتفاف إلى جانب الاقتصادي وذلك باتخاذ بيتا للمال يشتري السلاح ويركب منه الجيوش⁶.

كما اتبع عبد الله بن ياسين⁷ في تصريف شؤون الرباط طبق لأحكام المذهب المالكي الذي كان يتبعه عبد الله بن ياسين⁸ و جعل أمرهم إلى الأمير يحيى بن عمر، فتخطوا الرمال الصحراوية إلى بلاد درعة و سجلماسة، و أصلحوا من أحوالها و غيروا المنكرات، وأسقطوا المغارم و الملوس، وافترضوا الصدقات واستعملوا عليها منهم، و عادوا إلى صحرائهم فهلك يحيى بن عمر و قدم آخاه، آبا بكر و ندب المرابطين إلى فتح المغرب⁹ و وصلوا إليها إلى تامسنا التي كانت تحت حكم البرغواطيين التي اعتنقت الجوسية دينا لها، وكان الصراع عنيفا، أسفر عن إصابة داعية المرابطين عبد الله بن ياسين بجراح خطيرة أدت إلى وفاته سنة

اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ / 1988م، ص29.

¹ _حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص186.

² _ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص125.

³ _حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2000م، ص20.

⁵ _المرابطين: هم الأشخاص أو المجاهدون الذين لازموا عبد الله ابن ياسين فأطلق عليهم اسم المرابطين لما رأى من شدة صبرهم و حسن بلائهم على المشركين و هو نسبة للرباط الذي هو حصن حربي يقام في الثغور لواجهة العدو، وتسميته من القرآن _سورة الأنفال، الآية62، وسورة آل عمران، الآية199، ينظر: محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الخطيب (ت713هـ)، لخلل الموشية في الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط1، دت، ص10.

⁶ _حمدي عبد المنعم محمد حسن، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1997، ص47

⁶ _ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص126.

¹ _عبد اله بن ياسين، اسم أمه تين يزمارن، من أهل جزولة من قرية تسمى تاماناوت في طرب الصحراء مدينة غانة، ينظر أبي عبيد البكري(ت487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ص165.

⁸ _عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص72.

⁹ _ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص243 244.

459هـ¹ بعد فترة كفاح استمرت اثنين و عشرين عاما² فعند رحيل عبد الله بن ياسين كان المرابطون قوة سياسية و اجتماعية، و اقتصادية، وعسكرية قوامها الدين، حيث احتلت رقعة ترابية شاسعة تمتد من حدود نهر السنغال إلى وسط المغرب الأقصى³.

وبعدها ارتحل أبو بكر إلى الصحراء، واستعمل، على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين⁴، ومن أعماله محاربته لقبائل بني يفرن سنة ثمان و أربعين و أربعمئة⁵ ومن أهم الأعمال التي قام بها المرابطون اختطاط يوسف بن تاشفين لمدينة مراكش⁶ سنة 404هـ ليتخذ منها عاصمة لمملكته . كما كونوا جيشا ضخما، استعمل لفتح بلدان المغرب، وانتصارات عديدة توجوا فيها، ومن أبرزها معركة الزلاقة سنة 479هـ⁷ وقد تولى دولة المرابطين ستة من الأمراء :

يحيى بن عمر (440هـ)⁸، أبو بكر بن عمر اللمتوني (448هـ)، يوسف بن تاشفين (453هـ)⁹، تاشفين بن علي (537هـ)، إبراهيم بن تاشفين (540هـ)، اسحاق بن علي (540هـ).

2_ موقف المرابطين من المذهب المالكي:

¹ _يقول صاحب روض القرطاس، أن وفاته كانت سنة 451هـ، و ابن خلدون سنة 450هـ.

² _حسن علي حسن ، المرجع السابق، ص ص24 25.

³ _ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص131.

⁴ _ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص245.

⁵ _ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص247.

⁹ _مراكش: أعظم مدينة بالغرب، أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملتمين، وكان موضع مراكش قبل ذلك محافة يقطع فيها اللصوص على القوافل ، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص94.

¹ _ عبد النبي بن محمد، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1399هـ/1979م، ص ص10 11.

⁸ _سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1980، ص33.

⁹ _الناصرى، المصدر السابق، ج1، ص109.

كان الأثر الديني في قيام دولة المرابطين أقوى من الأثر السياسي، إذ كانت الروح الدينية تقوم على الجهاد، فكان للمذهب المالكي السيادة بعد أن ظل في صراع مستمر مع غيره من المذاهب، وكانت سيادة هذا المذهب من أبرز نتائج الدعوة المرابطية،¹ و يظهر أن فقهاء المالكية، تمتعوا بمكانة سامية، في المجتمع المرابطي و لعل ذلك يرجع على دورهم الكبير في قيام الدولة، أو إلى التعاليم الراسخة التي وضعها الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين منشئ الدولة الروحي، و مؤسسها² ففي عهد الأمير بكر بن عمر استطاع الفقيه أبو بكر المرادي أن يكتسب ثقة الأمير، فاتخذه وزيراً، ومشاوراً وجليسا ومعلما، وطلب منه أن يكتب له كتابا في أصول الحكم، فألف له كتاب السياسة في تدبير الإمارة، و المرادي أول من أدخل علوم الاعتقاد والحكمة إلى المغرب.³

أما في عهد يوسف بن تاشفين احتل الفقهاء مكانة ضمن الطبقة الخاصة فكان الأمير محبا، ومقربا لهم صادرا عن رابهم مكرما لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه⁴ وهذا ما اتبعه ابنه علي بن يوسف الذي اشتد إيثاره لأهل الفقه و الدين، و كان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته كان فيها يعهد إليه ألا يقطع أمرا و لا بيت حكومة في صغيرة من أمور، ولا كبيرة إلا بمحضر أربعة من الفقهاء⁵.

¹ _حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4 ص 277.

² _حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص333.

⁶ _عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1991م، ص ص102 103.

¹ _ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 120.

² _ابي محمد عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص130. ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام،

المرجع السابق، ص132.

و قد لجأ المرابطون إلى وسائل أخرى لتأليف قلوب الناس، و كسب ثقتهم فقد كانوا يوزعون خمس الغنائم على الفقهاء و العلماء،¹ كما أقاموا إصلاحاتهم على المذهب المالكي، واعتمدوا على الفقهاء بدءاً من الداعية عبد الله بن ياسين، إلى أولئك الذين تحملوا مسؤولية تسيير الدولة.

2_ مناصب الفقهاء المالكية في الدولة المرابطية .

اعتلى الفقهاء المالكية العديد من المناصب، وكان القضاء من أبرزها، حيث حرص الأمراء المرابطين على تعيين قضاة ممن برزوا في العلم والفقهاء، حيث كانوا يحكمون وفق المذهب المالكي، لمشاورتهم قبل إصدار الأحكام² لذلك لم يكن غريباً تمسك الفقهاء ببيعة الأمراء المرابطين، حتى بعد سقوطهم هذا ما أعطاهم مكانة و نفوذ قل نظيره، حتى أن بعضهم صاروا يدخلون المدن دخولاً رسمياً يشبه دخول الأمراء وهذا ما حظي به قاضي عياض³ فخرج الناس للقائه، و برزوا تبريزاً لم يرى مثله⁴.

فقد كان القضاء ببلاد المغرب منظم، وكانت زعامة القضاء بالمغرب كله لقاضي الجماعة بمراكش، الذي كان مسمى في بعض الأحيان بقاضي الحضرة وكان هذا القاضي أقرب الفقهاء إلى قلب أمير المسلمين، فقد كان عضواً بمجلس الشورى ولي الأمر في كل ما عرض له من شؤون⁵ وكان يحكم وفق

¹ _حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص209.

⁴ _علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ لنشر التوزيع و الترجمة، القاهرة، ط2006، م1، ص، ص195، 160.

¹ _أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي، السبتي المالكي من أشهر أعيان المذهب المالكي، ولد بسبته سنة 476هـ، و توفي بمراكش سنة 544هـ، تولى القضاء بغرناطة سنة 532هـ، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص485، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أحمد أعراب محمد بن تاويت، صندوق إحياء التراث الوطني، المشترك بين المملكة المغربية والإمارات المتحدة، دط، 1980، ج4، ص23.

² _بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، د ط، دت، ص146.

⁵ _حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص364 365.

المذهب المالكي، وقد شارك القضاة في معارك الجهاد في الأندلس واستشهد بعضهم في معركة الزلاقة منهم القاضي عبد الملك المصمودي قاضي مراكش،¹ كما يعتبر هؤلاء الفقهاء، و القضاة في الواقع زعماء الشعب الحقيقيين المعبرين عن آمالهم وآلامهم، وكانوا هم المدافعين عن حقوق الناس، العاملين على رد الظلم عنهم، فلهذا قيل أن الدولة كانت في الحقيقة دولة فقهاء².

أما خطة الشورى فكان يتولاها فقهاء يختارهم القاضي من أهل المدينة المعروفين بالورع، والتقوى و التبخر في الفقه يشاورهم في الأحكام، وكان عدد هؤلاء الفقهاء المشاورين في العادة، أربعة: اثنان يشتركان في مجلس القاضي، و اثنان يقعدان في مجلس الجامع، ليدليا بالشورى لطلابها،³ حيث كان هؤلاء الفقهاء المشاورين رئيسا منهم يتزعم و ينظم شؤونهم.⁴

غير هذا نجد فقهاء كانا وزراء كتاب، أحد أقسام الوزارة⁵ كما نجد قسم آخر من الوزارة بما يعرف بالوزارة و الحجابة، فلم يتخذ الأمير يوسف وزارة بالمعنى المتعارف عليه، بل كانت هناك هيئة استشارية تشترك فيها طائفة من الفقهاء و غيرهم يلزمونه في قصره، وتنقلاته بيدون آراءهم في المشاكل المطروحة للبحث، وتبقى الكلمة الأخيرة للأمير.⁶

كما كان للفقهاء نصيب من التدريس، فان نشر العلم هو المهمة الأولى للعلماء، فهم ورثة الأنبياء الذين لم يرثوا درهما ولا دينارا بل علما يهدي به الله من شاء إلى الصراط المستقيم، فبالعلم و نشره يقود

¹ _ سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق، ص160.

² _ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص360.

¹ _ محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، دط، 1655، ص117.

⁴ _ حسن أحمد حسن، المرجع السابق، ص 368.

⁵ _ عتي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص161.

⁶ _ سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق، ص167.

الناس إلى سبل النجاح والفوز في الدارين الدنيا والآخرة، وفي العصر المرابطي قام العلماء بدورهم كاملاً، فقد انتشرت حلقات العلم في كل نواحي المغرب، إذ يعتبر القاضي عياض من أبرز من داول مهنة التدريس، رغم أنه تولى القضاء إلا أنه لم يشغله عن التدريس، ونشر العلم فكانت له حلقة في جامع سبتة للدرس و الإقراء، فكان يساعد الناس عملياً، وجمع الوسائل المادية و المعنوية المتوفرة لديه، لتغلب على الصعوبات التي تواجههم في ذلك السبيل،¹ و لهذا صارت المدن المغربية مراكز لدراسة المذهب المالكي و تخريج العلماء المالكيين، و من هذه المراكز مدينة تلمسان² كانت دار العلماء و المحدثين و حملة الرأي على مذهب مالك.³

فأنجبت البلاد الكثير من علماء المالكية، الذين حفلت بهم مجالس و الندوات و دور العلم، و في مقدمتهم القاضي عياض ابن موسى اليحصبي السبتي، الذي برز دوره واضحاً حيث رفع لواء الثورة ضد عبد المؤمن بن علي و الموحدين، و هذا في الواقع مدافع عن المذهب المالكي ضد الدعوة الموحدية⁴، كما نجد مدارس خارج المغرب، كانت ببلاد الأندلس حيث تلقى فيها كبار الفقهاء المغاربة أمثال أبي عمران الفاسي، و عبد الله بن ياسين، والقاضي عياض حيث تلقوا العلوم ببلاد الأندلس فقد تلقى عبد الله بن ياسين العلم بقرطبة نحو سبع سنين فكان يلازم القراءة،⁵ فقد أتم دراسته على يد و حاج

⁵ محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مملكة العربية السعودية، 1997، ص 155.

¹ قاعدة المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار لأول تدل على أنها مملكة للأمم السابقة، تعتبر دار للعلماء والمحدثين، وأهل الرأي على مذهب مالك الحميري، المصدر السابق، ص 135.

³ البكري، المصدر السابق، ص 77.

⁴ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 465.

⁵ محمد لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 11.

بن زلو اللمطي الذي تلقى العلم بدوره عن أبي عمران الفاسي بالقيروان، ثم أسس أول مدرسة للفقه المالكي في نفيس على مقربة من أغمات.¹

4_ فقهاء المالكية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين:

دخل كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي إلى المغرب على عهد علي بن يوسف، وظهر هذا الكتاب عند الناس ورأوا فيه تشديد فهجروه وأنكروه علماء لمتونة فبلغوا في الإنكار فيه إلى أن أفتوا بحرقه وتمزيقه حيثما وجدوه،² حيث أن مسألة حرق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي قد أثارت جدلاً علمياً بين فقهاء المغرب والأندلس، إذ صدرت فتوى من قبل فقهاء المغرب والأندلس متمثلة بالقاضي ابن حمدي بحرق هذا الكتاب، وقد عرضت هذه الفتوى بين يدي أمير المسلمين علي بن يوسف ونالت استحسانهم وموافقتهم 503هـ/1109م، وهذا دليل على انقياده وراء الفقهاء وسلطانهم، وأصدر أمير المسلمين أوامر بحرق الكتاب في كافة مدن المغرب والأندلس، وتم حرقه في أفنية المساجد الكبيرة بكل من قرطبة ومراكش، واستمرت الدولة في سياستها بالنسبة لمؤلفات الغزالي ومتابعتها بالمصادرة والحرق طيلة عهدها،³ فوجد علماء المرابطين كتاب الإحياء مرآة عاكسة تعكس لهم عيوبهم، و ما هم عليه من جمود فكري فوجب حرقه، بالإضافة إلى أن هذا الكتاب سوف يبين لهم اختلاف في الآراء الفقهية التي طالما حاولوا أن تصب في إطار المذهب المالكي دون غيره، إلا أنه كان ببلاد المغرب أنصار للإمام الغزالي وكتابه الإحياء، واعتبر حرق كتاب الإحياء نتيجة لابتعاد فقهاء المرابطون عن الحركة الفكرية المستنيرة وهذا عامل من عوامل ضعف الدولة.⁴

⁵ _حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 43

² _ ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص ص 106 107.

³ _ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 451.

² _ أسامة عبد الحميد حسين، فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، جامعة تكريت، سامراء، مج 1،

لم يكتفي المرابطون بجعل المذهب المالكي مذهبا رسميا بقرار من السلطة الحاكمة، بل سعوا إلى جعله اختيارا علميا، فألفوا كتباً في مناقب الإمام مالك و أصحابه، وبينوا فضل مالك و حجيته، ولعل أهم مثال على ذلك، الجهد الذي قام به القاضي عياض، بتأليفه كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك".

A decorative rectangular border surrounds the page. It features four ornate floral corner pieces and four pen nib motifs, one on each side, pointing towards the center. The border is composed of solid black lines.

الفصل الثالث

إن انتصار المالكية يعني أن سكان المغرب_ رغم تنوع المذاهب في بلادهم_ أصبحوا لا يقتصرون على استهلاك أفكار وآراء الإمام مالك بن أنس، وتلامذته بل ابتكروا وساهموا بمصنفاتهم وتآليفهم المتنوعة في ميدان الفقه، وتوليههم الناصب الحكومية، في تطوير المذهب وذلك بنشره في بلاد المغرب، وتكريسه نهائياً في ربوعه.

المبحث الأول: التأليف وأهم المؤلفات المالكية.

يعتبر التأليف من مظاهر ازدهار المذهب لكونه يكتسب صبغة البقاء، و الاستمرار، فالمؤلف إذ يؤدي مهمته في حينه يبقى على مر الأيام محافظاً على ذلك الدور دون انقطاع.¹ كما يعد التأليف في المذهب المالكي نتيجة منطقية، لمرحلة التأسيس و النشوء، فإن عامة الكتب المشهورة في هذه الفترة هي تلك التي جمعت الآراء الفقهية، للإمام في سماعات و مرويات، تختلف باختلاف طلابه، وقد يضاف إليها الآراء الشخصية، والترجيحات و الاستنباطات التي توصل إليها كل طالب في القضايا المروية ، أو المستنجدة بناءً على ما استوعبه، من قواعد المذهب وأصوله.²

1_ المؤلفات:

أ_ كتب الأمهات:

تعتبر كتب الأمهات من أشهر ما ألف في المذهب المالكي، في مرحلة التأسيس، بعد الموطأ الأصل الأول وهي أربعة: المدونة، الواضحة، العتبية، أو المستخرجة، و الموازية، وهي تشكل الأساس التي قام عليها المذهب المالكي:

¹ -محمد بن حسن الشرحبيلي، المرجع السابق، ص296.

² -محمد ابراهيم علي، المرجع السابق، ص89.

المدونة: تعتبر المدونة مجموعة من المسائل والأبواب، بالإضافة إلى الحديث الشريف، و الآثار . كما أضاف سحنون ما انتقاه من أقوال أصحاب مالك، وغدت المرجع المعتمد في المذهب المالكي، وكذلك سميت المختلطة.¹

الواضحة: لعبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون المكنى بأبي مروان، له العديد من المؤلفات في الفقه، والتواريخ منها الواضحة لم يؤلف مثلها،² كما يذكر قاضي عياض: ألف ابن حبيب كتباً كثيرة في الفقه، منها الكتاب سماه بالواضحة في السنن والفقه، لم يؤلف مثلها،³ و قد كان لها دور كبير في نشر المذهب المالكي، كما بلغ مبلغ الشهرة في حياة مؤلفه ابن حبيب.⁴

العتبية: أو المستخرجة وهي لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتي القرطبي،⁵ وذكر عنها ابن الخطيب: ومنها المستخرجة من الأسمعة وهي المعروفة بالعتبية، ولها عند أهل افريقية القدر العالي و الطيران الحثيث،⁶ كثر فيها الروايات المطروحة، والمسائل الشاذة ، وكان يؤمن بالمسألة الغربية، فإذا أعجبه قال أدخلوها.⁷

الموازية: لمحمد بن ابراهيم بن زياد الإسكندري المعروف بابن المواز، قال أبي عاصم رجحها أبو الحسن القابسي على سائر الأمهات،⁸ اجل كتب المالكية، وأصحها مسائل، وابتسطها كلاماً و أوعبها،⁹

¹-أبو حبيب سعدي، المرجع السابق، ص ص 32 33.

²- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص163.

³-قاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص127.

⁴- محمد بن حسن الشرحبيلي، المرجع السابق، ص490.

⁵-عمرجدي، المرجع السابق، ص70.

⁶- الشيخ أبي عاصم بشير ضيف بن أبي بكر بن بشير بن عمر العربي، مصادر الفقه المالكي أصول وفروع في المشرق و المغرب قديماً وحديثاً، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1463هـ/2008م، ص44.

⁷-قاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص253.

⁸-أبي العاصم بشير ضيف بن أبي بكر بن الباشر بن عمر العرب، المرجع السابق، ص44.

⁹-عمرجدي، المرجع السابق، ص72.

وذكر عنها القاضي عياض: هي أجل كتاب ألفه المالكيين، واضحة المسائل، وابتسط كلاما وواعبه، وذكره أبو الحسن القابسي، ورجحه على سائر الأمهات، وقال، لأن صاحبها قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه، وغيره إنما قصد لجمع الروايات، ونقل منصوص السماعات، ومنهم من تنقل عنه الاختبارات في شروحات، أفرادها، و جوابات لمسائل سئل عنها.¹

ب_ التآليف على أسلوب الموطأ والمدونة:

لم تنقطع تآليف المالكية على مر العصور، فمنذ أن ألف مالك موطئه، والتصانيف تتابع الواحد تلو الآخر، ولقد تعددت هذه المصنفات وتنوعت،² إذ يجمع مالك رحمه الله فيه الأحاديث و الآثار مما يجعله كتاب حديث، فإن ما ضمنه الإمام أيضا من آراء في الأحاديث، قبولا وردا و شرح لبعض المسائل و ضبط لرؤوس الأبواب، وتنبيه على بعض القواعد الأصول، يجعله من كتب شروح الحديث كذلك،³ إذ قال قاضي عياض أنه لم يعتن بكتاب من كتب الفقه

والحديث اعتناء الناس بالموطأ، فإن الموافق و المخالف أجمع على تقديمه و تفضيله و روايته و تقديم حديثه و صحيحه،⁴ إذ يذكر عمر جيدي أن هناك اختلاف في عدد نسه إذ بقول في المدارك نحو عشرين نسخة، كما يذكر أن الدهلاوي في كتابه "بستان المحدثين" نحو ست عشر نسخة كل نسخة عن راوي خاص، كما يقول: ونقل عن أبي القاسم محمد بن حسين الشافعي قوله الموطآت المعروفة عن مالك أحد عشر، ومن بين أهمها: محمد بن سحنون المتوفى 256هـ، وكان يحسن الحجة والدب عن أهل السنة والرد على أهواء، ولم يكن أحد في عصره أجمع لفنون العلم و لا أكثر تصنيفا منه، حيث صنف

³-القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص469.

⁴-يونس بحري: فقه المالكي في الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012، ص55

³-محمد المختار محمد المامي، المرجع السابق، ص159.

⁴-القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص80.

مصنفات عظيمة¹ أهمها، تفسير موطأ في أربعة أجزاء،² ومروان بن علي البوني المتوفى قبل 440هـ، وله شرح الموطأ مفيد حسن.³

أما ما ألف من شروح على المدونة نجد، محمد بن عبدوس،⁴ ألف أربعة أجزاء في شرح مسائل في المدونة: كتاب الورع، كتاب فضائل أصحاب مالك، و كتاب مجالس مالك،⁵ كما نجد محمد أبو عبد الله بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين، ألف المغرب في المدونة، وشرح مشكلها، والتفقه في نكت منها، مع تحريه للفظها، وضبطه لروايتها، ليس في مختصراتها⁶ كما نجد أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف بالبراذعي، وألف اختصار المدونة، وتمهيد لمسائل المدونة، والشرح و التسميات لمسائل المدونة و اختصاص الواضحة،⁷ أما ابن أبي زيد القيرواني له كتاب مختصر المدونة،⁸ وهو كتاب كبير الحجم احدى نسخه تقع في سبعة عشر مجلد، وهو موزعين خزانة القرويين بفاس بها أجزاء: الثاني، الثالث، الرابع، الخامس، السادس، الثاني عشر، الثالث عشر، الرابع عشر، السادس عشر، وبالخزانة العامة

¹ -ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص134.

² -ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص333.

³ -المصدر نفسه، ص345.

⁴ -هو محمد بن ابراهيم بن عبدوس، بن بشير من كبار أصحاب سحنون و أئمة وقته وهو رابع المحدثين الأربعة الذين اجتمعوا في عصر أئمة مالك.

⁵ - القاضي عياض، المصدر السابق ج4، ص225.

⁶ -ابراهيم التهامي، المصدر السابق، ص134.

⁷ -محمد بن محمد المخلوف، المصدر السابق، ج1، ص105.

⁸ -شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص11.

بالرباط، السفر الأول،¹ و الذي يحتوي على نحو خمسين ألف مسألة،² كما نجد حمديس ابن ابراهيم بن محرز اللخمي صاحب مختصر المدونة، وله في الفقه كتاب مشهور في اختصار مسائل المدونة.³

2_ تطور التأليف في المذهب المالكي في المغرب الإسلامي:

تطورت عملية التأليف تدريجيا للخروج عن أسلوب المدونة المبني على السؤال و الجواب، وذكر أقوال الإمام مالك أو القياس عليها، إلى أن وصل الأمر لظهور مؤلفات فقهية مبنية على منهج جديد وترتيب و تبويب متطور،⁴ و هدفنا من إدراج هذا العنوان هو إبراز الجهد الذي بذله المغاربة في ميدان التأليف الموسوعي الذي قل نظيره، في بعض المذاهب الأخرى ، وإقامة الدليل على أن الفكر المغربي كان يتحرك بخطى ثابتة نحو نشر هذا المذهب، والتمكين له ونصرتة بمختلف الوسائل ، ولاشك أن التأليف هو أبرز هذه الوسائل إذ هو الضروري لنشر المذهب و استمرار، و المحافظة عليه⁵

كما تنوعت تأليف المالكية في عهد الموحدين في ميدان الفقهي و تعددت ، فمن المؤلفات المستقلة إلى شروح المتون الفقهية المعتمدة ، والتعليق عليها وصولا إلى الردود على المذهب المالكي، وأهمها مؤلفات أبو عثمان سعيد: محمد ذكر عنه الحشني حيث قال كان غزير التأليف كثير الوضع له كتب، مؤلفة في فن الكلام، و الجدل و الفقه، و المسائل، له رد على الشافعي في كتاب لم يظهر على أيدي الناس ، وكان مقدار تأليفه على الشافعي شقتين، كل شقة منها تسمى ثلث قرطاس فملأها ظهرا و

¹ - عمر الجيدي، المرجع السابق، ص78.

² - نصر سليمان: أعلام المذهب المالكي، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2011م، ص19.

³ - محمد العلمي، أهم علام التخريج في المذهب المالكي، التخريج في المذهب المالكي وأثره في حركية الاجتهاد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، عين الدفلة، 1433هـ/2012م، ص402.

⁴ - محمد بن حسن الشرحيلي، المرجع السابق، ص304.

⁵ - عمر جيدي، المرجع السابق، ص77.

بطنا،¹ أما أبي زيد القيرواني فله مصنفات عديدة في مجال العقيدة وهي كثيرة، منها "الرسالة في الفقه المالكي" والتي قدم لها بمقدمة في العقائد، وهذه الرسالة هي أشهر كتبه، وكتاب الجامع في السنن و الآداب و المغازي و السير، و قد قدم له أيضا في مقدمته في عقيدة أهل السنة، وله رسالة في التوحيد، ورسالة في الرد على القادرية، ورسالة في الرد على ابن مسرة المارق،²

كما وجد فقهاء في أواخر القرن الرابع هجري، بلغوا رتبة عالية من الفقه تمكنهم من الاجتهاد، وتوفر لبعضهم، ما لا يقل عن الأئمة السابقين علما بأصول التشريع، وطرق الاستنباط، و لكن لم تكن لهم الجرأة الكافية لظهور بمظهر الاستقلال.³ ومن بينهم القاضي عياض الذي لم يمتنع عن التأليف، وقد جاءت شهرته أساسا، عن طريق مؤلفاته العديدة، التي بلغت أكثر من ثلاثين مؤلف و التي لقيت رواجاً كبيراً، و قبولاً حسناً لدى أهل العلم، و من مؤلفاته: كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، و كتاب "ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مالِك" و كتاب "مشارك الأنوار على صحاح الآثار".⁴

المبحث الثاني: التدريس و المدرسون في بلاد المغرب الإسلامي

¹ - الخشني، المصدر السابق، ص 203.

² - إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 137.

³ - عبد الملق أحمدون، التراث المالكي بالمغرب، أثر الفقهاء المالكي في القناة بالمغرب، المنشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، غزة، 2004، ص 153.

⁴ - محمد محمود عبد الله، المرجع السابق، ص 163.

من أوسع المجالات التي أسهمت في ازدهار المذهب المالكي، ميدان التعليم وهو المجال الطبيعي الذي تنتشر بواسطته كل العلوم، فنشر العلم وطلبه من بابه الواسع هو التلقي عن شيوخ ويتأكد هذا الأسلوب في العلوم الشرعية _ الفقه _ إذ لا غنى لمن يطلبها عن لقاء حملتها، وقد أكد الفقهاء على هذا الأمر حتى أفتوا بمنع من لم يتلق عن الشيوخ من التصدي لبث العلم،¹ فقد كان فقهاء المذهب المالكي، قد أجازوا أخذ الأجرة على تعليم القرآن وحده، لكنهم لم يتفقوا حول الحكم الشرعي على الإجارة لتعليم العلوم من فقه، و فرائض، و غيرها، فمنهم من يجيزها، و منهم من يحرمها، لكن أغلبهم اضطر في الأخير الى إجازتها،² ونرصد مجالس أخرى لكبار العلماء يتدارسون ويتناظرون في الفقه، فيما بينهم أو في مجالس الأمراء، سعيًا لتثبيت هذا الفقه أو نشره،³ فيذكر ابن فرحون في هذا الصدد: وكان يجتمع هو وأبو الأزهر بن معتب، وأبو محمد بن أبي زيد، وابن شلبون وابن التبان و القابسي، و جماعة ذكرهم للفقه في جامع القيروان،⁴ و يروي أبو القاسم حاتم بن محمد ابن الطرابلسي قائلًا كنا عند القابسي في نحو من ثمانين رجلاً من طلبة العلم من أهل القيروان و الأندلس وغيرهم من المغاربة، فقصد إلينا الشيخ وقد شق عليه الصعود، فقام وقال: والله والله لقد قطعتم أبهري،⁵ ومنهم كذلك عبد الله بن غانم القاضي، و كان ممن أسهم في نشر المذهب المالكي وتثبيته، في المغرب وذلك بالتصدي لتدريس قواعده وأصوله.⁶

¹ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 317.

² _ الحسن أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، مركز الدراسات التاريخية و البيئية، المملكة المغربية، الرباط، دط، 2004م، ص 16.

³ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 318.

⁴ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 181

⁵ _ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 1، ص 336.

⁶ _ المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 520.

لكن الفاطميين منعوا علماء السنة من التدريس في المساجد، و نشر العلم، و الاجتماع بالطلاب، فكانت كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت خوفاً من بني عبيد،¹ إلا أنه صار الكثير من علماء المذهب المالكي معلمين لأتباع المذهب في المساجد الخاصة أو في البيوتات سرّاً، و بخاصة عندما أسس العبيديون ديوان الكشف سنة 298هـ/910م وقد أسند عبيد الله المهدي مهمة ديوان الكشف الى لأبي جعفر هارون البغدادي وعمران بن أبي خالد بن سلام، و مهمتهما التحري عن المخالفين لمذهب الدولة من الفقهاء والمفتين والقضاة والمؤدبين،² فكان جبلة بن حمود الصديقي³ يدرس الطلاب بالمسجد سرّاً دون علم العبيدين⁴ وسعيد بن الحداد إذ يروى عنه أنه كان يجلس في المسجد عند المحراب و الطلبة ينقلون عنه العلم، وكان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو محمد بن تبان وغيرهما، يأتيان إلى أبي بكر بن اللباد، شيخ السنة بالقيروان في خفية، ويجعلان الكتب في أوساطهما حتى تتبلل بالعرق، خوفاً من بني عبيد،⁵ ونذكر كذلك أبو الحسن القابسي الذي كان أهل القيروان يفضلونه ويأخذون عنه، تفقه عليه أبو عمران الفاسي، اللبيدي، و عتيق السوسي، و غيرهم، إذن كان هؤلاء الفقهاء يقومون بالتدريس بعيداً عن أنظار العبيديين وعيونهم، فهذا جبلة كان يدرس في قصر الطوب حيث يقيم، أو في المسجد سرّاً،⁶ أما على عهد الدولة الحمادية: فقد وجد في المدن الكبرى كبجاية والقلعة والجزائر وتاهرت وبونة علماء أجلاء، وكانت لبعضهم شهرة في العالم الإسلامي، أبرزهم: مروان أبو عبد الملك بن علي البوني: كان من الفقهاء

¹ _ علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 75.

² _ بشير رمضان التلسي، المرجع السابق، ص 395.

⁴ _ هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن، بن سلمة الصديقي، من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان، سمع من سحنون ومحمد بن زيد ومحمد بن عبد الحكم وغيره توفي يوم الثلاثاء من صفر سنة تسعين ومئتين. الدباغ، المصدر السابق، ص، ص 277 _ 280.

⁴ _ بشير رمضان التلسي، المرجع السابق، ص 395.

⁵ _ علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 75.

⁶ _ بشير رمضان التلسي، المرجع السابق، ص 396.

المتفنين¹ وموسى بن حماد الصنهاجي، وموسى بن الحجاج بن أبي بكر الأشيري، إبراهيم بن حماد، ويبدو أن كثيراً من هؤلاء يعتمدون على تكوين التلاميذ، و التعليم الشفهي²، أما في عهد المرابطين نبغ القاضي عياض، ذكر عنه الغبريني: كان رحمه الله مداوماً على سماع الحديث وتدريس الفقه، و قراءة مصنفاته على الطلاب، لا يفارق ذلك حتى في أحلك الظروف، التي مرت بها سبته، و لا ينقطع عنه حتى في أيام الحروب والفتن، و لم يصرفه عن التدريس انشغاله بوظيفة القضاء، فكان ينتهج طريقة الاسماع و الإقراء، حيث اعتمد على المدونة³، ونبغ أبو عمران الفاسي: إذ ذاع صيته في المغرب الأقصى ككل سواء أثناء إقامته بفاس أو بعد خروجه منها نحو القيروان لدليل عل أنه احتل المكانة العليا، فبعد وصوله الى فاس جلس أبو عمران للتدريس حيث تصدر للإفتاء بالقرويين فأقبل على دروسه جمهور الطلاب لما أظهره من تبحر في العلوم وتوفيق في الإلقاء والتفهم وقد تتلمذ عليه عدد من الطلبة من أبرزهم وجاج بن زلو اللمطي، الشيخ الفقيه عبد الله بن ياسين،⁴ ومن هؤلاء العلماء من يصير من جلساء أصحاب الأمر و الأرباب العليا،⁵ حيث كانوا يختارون أكفأهم لتربية أولادهم، فهذا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حزم من أهل مدينة فاس، كان فقيهاً حافظاً للفقه استدعاه بعض أمراء المرابطين للقراءة عليه والأخذ عنه،⁶ كما كان محمد بن حماد العجلاني من أهل فاس، هو المخصوص بقراءة كتب الحديث وروايته على الأمراء.⁷

¹ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 223.

³ _ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 262.

³ _ الحسين بن محمد الشواط، المرجع السابق، ص 158.

⁴ _ محمد بركة، المرجع السابق، ص 32.

⁶ _ ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح: إبراهيم الإبياري، دار المعارف،

مصر، دط، 1945م، ج2، ص91.

⁶ _ أحمد بن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج2، ص 464.

⁷ _ ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 684.

طرق التدريس عند الفقهاء المالكية بالمغرب الإسلامي:

لم يدخر الفقهاء المالكية في نشر مذهبهم وتعليمه، فمنذ أن دخل هذا المذهب الى المغرب الإسلامي ومنتسبوه بكل الطرق وشتى الوسائل ومن بين أهم هذه الطرق التعليم فقد اعتمد الفقهاء المالكية على كتبهم المذهبية في التعليم والتدريس¹ فاعتمدوا على مجموعة كبيرة من الكتب الفقهية المالكية، كموطأ الإمام مالك² كما أنه بلغ الدرجة القصوى من الأهمية حتى أن القاضي عياض أورد: لا أعلم من علم الناس بعد القرآن أصح من موطأ مالك،³ ومختلف المصنفات عليه، ومدونة سحنون، وتهذيبها للبراذعي، وكتاب الذب عن مذهب مالك لابن أبي زيد، و الواضحة لابن حبيب،⁴ والعتبية للعتبي والتلقين لعبد الوهاب البغدادي⁵ وشرح رسالة ابن أبي زيد،⁶ وقد كان للتعليم الإسلامي طرق خاصة التي تميز بها وسار على نهجها الفقهاء المالكية، وكانت حلقات الدرس التي يلتف فيها الطلاب حول أساتذتهم هي الطريقة السائدة في التعليم، و عرف الطلاب خلالها وسيلتين للتلقي: وسيلة التلقين والتحفيز وعادة ما كانت تتم في الكتابات، التي كانت لتحفيظ القرآن والحديث و الفقه....⁷ وطريقة السماع والقراءة، فيها يقوم الأستاذ في مجلسه بإلقاء دروسه على طلبته،⁸ ولعل أهم طرق التدريس التي كانت منتشرة:

الرواية: وتعني تلقي الكتاب مباشرة من الشيخ سماعاً منه أو قراءة عليه.

³ _ محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الجديدة، دط، 1997، ص 12.

² _ يونس بحري، المرجع السابق، ص ص 90 91.

³ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 2، ص 80.

⁴ _ الغريبي، المصدر السابق، ص 315.

⁵ _ عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 488.

⁶ _ يونس بحري، المرجع السابق، ص 91.

⁷ _ جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 262.

⁸ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 216.

حفظ المتون: وفي هذا الصدد برزت طائفة من الفقهاء ممن كانوا يحفظون هذه المتون، و كان لهم فضل كبير في المحافظة على الفقه المالكي من الضياع.

المناظرة: وهي طريقة من طرق التعليم وأيسر سبيل للحصول على الملكة و الحذق على حد تعبير ابن خلدون.¹

المبحث الثالث: القضاء المالكي بالمغرب الإسلامي.

تولى فقهاء المالكية بالمغرب الإسلامي العديد من في المناصب في فترات مختلفة كان لها أثر الإيجابي على تعاظم تأثيرهم في شتى الجوانب الاجتماعية، وارتقاء مكانتهم بين الناس ولعل من أهمها:

1_ القضاء:

¹ _ يونس مجري: المرجع السابق، ص، ص 94، 96.

يذكر النبهاني: إن خطة القضاء في نفسها عند الكافة من أسمى الخطط فإن الله تعالى قد رفع درجة الحكام و جعل إليهم تصريف أمور الأنام، يحكمون في الدماء و البضاع و الأموال، والحلال و الحرام، وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من خلفاء: فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء و قد اشترط العلماء في متوليه، من شروط الصحة و الكمال، ما تقرر في كتبهم، فاستبعد حصول مجموعة الأئمة المقتدى بهم، فقد نقل عن مالك بن أنس _ رحمه الله _، أنه كان يقول: في الخصال التي لا يصلح القضاء إلا بها حصلتان العلم والورع،¹ ويذكر الونشريسي: خطة القضاء من أعظم الخطط قدرًا و أجلها خطرًا، لاسيما إذا جمعت إليها الصلاة، و على القاضي مدار الأحكام وإليه النظر في جميع وجوه القضاء،² ومع سمو هذه الخطة، أو أجل من ذلك كان التهرب منها تقليدًا لكثير في المشرق أو المغرب، وهم في المغرب الإسلامي كثيرًا، رغم أن الإمام مالك أفتى بإجبار من هو أهل للقضاء، إذ أباه ولم يوجد غيره.³

لقد طفحت صفحات التاريخ الإسلامي بقضاة لهم اجتهاداتهم و مواقفهم كالقضائية، وبدقتهم وتحريمهم للحق وشعورهم بالمسؤولية، مع قابلية في الإبداع و العبقرية في الفهم والتمسك الوسائل التي تصون الحق و تصدع به و تظهر حقيقة الأمر،⁴ وذكر النبهاني في هذا الصدد: نقل عن سحنون أنه قال: إذا كان الرجل أهلاً لخطة القضاء، فاستعفى منها، عوفي منها، إن وُجد لها عوضٌ منه، و إن لم يوجد، أُجبر

¹ _ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت _ لبنان _، ط5، 1403هـ/1989م، ص 02.

² _ الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص 78.

³ _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص324.

⁴ _ عبد الرحمن علي الحجي، جوانب من الحضارة الإسلامية، مكتبة الصحوة، بيروت _ لبنان _، ط1، 1979م، ص 55.

عليها، فإن أبي سجن، و إن أبي ضرب،¹ فتحدد كتب الفقه والنظم الإسلامية المهام المسندة الى القاضي بعشرة أمور إذا كانت ولايته عامة وله حرية التصرف وهي:

1 فصل المنازعات وقطع التشاجر و الخصومات.

2 استيفاء الحقوق.

3 ثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف.

4 النظر في الأوقاف يحفظ أصولها.

5 تنفيذ الوصايا على شروط الوصي.

6 إقامة الحدود على مستحقيها.

7 تزويج الأيامي بالأكفاء إذا عدمن الأولياء.

8 النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأفنية.

9 تصفح شهوده وإفئائه واختبار التآبين عنه.

10 التسرية في الحكم بين القوي و الضعيف.²

وكان القرآن والسنة مصدر التشريع، ويسير القضاة في المغرب حتى اليوم وفق مذهب الإمام مالك، ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام الحكام والولاة،³ ويتدوا أن هؤلاء الأمراء والحكام لجأوا لتعيين القضاة في هذا المنصب نظراً لمكانتهم العلمية حتى يستفيدوا من خدماتهم في هذا المجال، وأيضاً للمكانة المرموقة التي

¹ _ النبهاني، المصدر السابق، ص 14.

² _ الماوردي، المصدر السابق، ص، ص: 52، 58.

³ _ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص، 320.

حظو بها بين أفراد المجتمع، لذا لم يجدوا يداً في الاستعانة بهم في مداراة العامة، و أياً ما كان الأمر فإن هذا المنصب على قدر كبير من الأهمية إذ يعد ثالث السلطات التنفيذية الرئيسية، وذلك بعد الإمامة و الوزارة.¹

_ فقهاء المالكية الذين تقلدوا منصب القضاء:

1_ **عبد الله بن غانم**: أول قضاة الأغالبة حيث كان يشغل منصب القضاء منذ سنة (171هـ/ 786_ 787م) وكانت ولايته من قبل الخلافة العباسية عن طريق المكاتب،² وهناك من يذكر أنه ولاه القضاء الروح بن الحاتم في رجب 171هـ،³ فيذكر الرقيق القيرواني: وكان هارون الرشيد يكتب ابن غانم وكان قضائه من قبله، لا من قبل ولايته على إفريقية، و كان يكتب في عنوانه: من هارون الرشيد أمير المؤمنين الى قاضي إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم،⁴ كان يتمتع بقوة الشخصية ولا يخشى في الحق لومة لائم، و حظي بمكانة رفيعة عند إبراهيم بن الأغلب،⁵ ويذكر عنه القاضي عياض: " وكان ابن غانم إذا جلس رمى إليه الخصوم الشقاف فيها قصصهم مكتوبة، فوجد يوماً شقفة فيها قصة للنحاسي البغال فدعاهم، فأخبروه أن أبا هارون مولى إبراهيم ابن الأغلب الأكبر، صاحب أمره، إبتاع منهم بغالاً بخمسمائة دينار، ولم يدفع لهم شيئاً، فضم ديوانه، و نهض الى أبراهيم، وكان قد أباح له الدخول عليه دون إذن، فكان القاضي إذا أتى تنحج، فسأله إبراهيم ما قصته؟ فذكر له شأن المتظلمين، فأحضر أبا هارون، فاعترف، فقال ابن غانم لا أبرح حتى تدفع إليهم أموالهم، فما برح حتى دُفعت لهم.⁶

¹ _ حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 27.

² _ عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص، 281.

³ _ محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 62.

⁴ _ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 190.

⁵ _ عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص 281.

⁶ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 3، ص 70.

2_ الإمام سحنون: الذي تولى القضاء سنة 234هـ/ 848م من قبل الأمير محمد بن الأغلب، وبقي في منصبه الى أن وافته المنية سنة 240هـ/ 854م،¹ يقول المالكي: كان لت يقبل من أحد شيئاً، سلطان أو غيره، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق يقوله، سليم الصدر للمؤمنين شديد على أهل البدع،² فقبل القضاء وهو مغلوب على أمره، فقال لابنته عندما قبل توليته القضاء اليوم ذبح أبوك بغير سكين،³ وقال سحنون: لم أكن أرى قبول هذا الأمر حتى كان من الأمير معنيات: أحدهما، أعطاني كل ما طلبت، وأطلق يدي في كل ما رغبت حتى أتي قلت له: أبدأ بأهل بيتك وقربتك وأعوانك، فإن قبلهم ظلامات للناس وأموالاً لهم منذ زمان طويلاً، إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي، فقال لي: نعم لا تبدأ الا بهم، و أجر الحق على مفرق رأسي،⁴ وقد تم إضافة اختصاصات أخرى في أمور الأسواق التأديب على الغش والنفي من الأسواق للتجار المخالفين، و بذلك امتد نشاط قضاة القيروان وأدخلوا في اختصاصهم حق الإشراف على الحسبة، و لم يقتصر الأمر عند هذا الحد فحسب بل أخذ سحنون لنفسه حق تعيين إمام الصلاة،⁵ و يذكر ابن أبي الدينار أنه كان لسحنون واقعة متهورة مع الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب: في رد المسببات ومنع بعض أمرائه من التصرف فيهن واستخرجهن من داره، و بعث الأمير الى سحنون في ردهن فأقسم لا يردهن ما دام قاضياً إلا أن يرفع يده عن القضاء فكفر عنه رحمه الله الجميع.⁶

¹ _ حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 27.

² _ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 345 346.

³ _ سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص، 100.

⁴ _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 56.

⁵ _ عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص 280. ينظر أيضاً: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 350.

⁶ _ بابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 38.

3_ **حماس بن مروان:** ولي القضاء سنة تسعين و مائتين في رمضان ولاه زيادة الله بن الأغلب عند عزل الصديني الفقيه الحنفي، قال أبو العرب: فجر الله به القلوب النافرة والكلمة المختلفة وفرح به أهل السنة.¹

4_ **عامر بن محمد بن سعيد القيسي:** لما وفدت على إدريس الثاني الوفود من الأندلس و إفريقيا، اختار منهم عامر بن محمد، و عينه على القضاء،² الذي كان يحكم وفق المذهب المالكي، ومما يثير الاستغراب أن الأدراسة كانوا علويين والقضاء كان وفق المذهب المالكي.³

5_ **محمد بن عبد الله بن الحسان الأنصاري:**⁴ ولي القضاء بالقيروان لإسماعيل الشيعي سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة وتوفي وهو يتولاه،⁵ وذكر المالكي: أنه لما شد عليه إسماعيل الشيعي في ولاية القضاء قال له: لا ألتزم لك هذا الأمر إلا على أن لا آخذ لكم صلة، ولا أركب لكم دابة، و لا أقبل شهادة لمن طاف بكم أو أقاربكم، فأجابه الى ذلك والتزم لم ما شرط،⁶ وذكر الهادي روجي إدريس أنه عينه من أجل إرضاء أهل القيروان الذين كانوا قد انضموا إلى صاحب الحمار.⁷

6_ **أبو بكر أحمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي يزيد:** ولاه المعز بن باديس قضاء القيروان، و كان عدلاً في أحكامه كثير السياسة محبباً إلى الناس، و كان توليه القضاء في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.⁸

¹ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 326.

² _ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 29.

³ _ سعدون عباس نصر الدين، المرجع السابق، ص 128.

⁴ _ هو أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور عبد الله بن الحسان الأنصاري توفي في محرم سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة، و دفن بباب سلم.

ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 286.

⁵ _ ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 291.

⁶ _ المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 361.

⁷ _ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 167.

⁸ _ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 190.

أما في عهد الدولة الحمادية فكان القضاء من أعظم وظائف الدولة، و ذلك لصلته بالدين والشرع، و كان مستقلاً عن الحكم، و يظهر أنه كان على المذهب المالكي الغالب على أهل المغرب.¹

4_ القضاء على عهد المرابطين و الموحيدين:

كانت بلاد المغرب منظمة، و زعامة القضاء بالمغرب معقودة لقاضي الجماعة بمراكش، الذي كان يسمى في بعض الأحيان بقاضي الحضرة، وكان هذا القاضي أقرب الفقهاء إلى قلب أمير المسلمين، و أدناهم منه مجلساً، إذ اتخذوا المرابطين فقيهاً له السلطة العليا، على قضاة المغرب و الأندلس على السواء، بمثابة وزير في النظم الحديثة، و قد تولى هذا المنصب، العظيم: أبو عبد الله مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سحنون اللواتي قاضي طنجة، الذي انصرفت إليه جميع أمور الأندلس والمغرب، و كانت سلطات القاضي متعددة و مهامه متنوعة، و كان عليه أن ييسر إشرافه على عدة خطط أو عدة وظائف، يشرف على خطة القضاء و الفتيا، و خطة الأحكام و الصلاة و الخطبة، كان القاضي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون المدينة حتى في شؤون أرباب الحرف، و الصناعات،² وكان أمير المسلمين إذا ولى أحد هؤلاء القضاة كتب له عقد توليته، بعث به إليه،³ فيصبح بمثابة دستور على القاضي أن يجزم نصوصه، ويعمل لموجبه،⁴ نذكر منهم أيضاً: تولى القاضي عياض القضاء أول ما تولاه في موطنه ومسقط رأسه بمدينة سبتة، لما كان عليه من نباهة الفكر وتوقد الذكاء و الشهرة العلم و ذيع الصيت، و لقبول أهلها له وتأثيره في واقع الحياة السياسية و الاجتماعية، وقد تولى القضاء في سبتة و غرناطة، ففي آخر

² _ مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت _ لبنان _، دط، دت، ج2، 236.

² _ ابن عبدون، المصدر السابق، ص 214.

³ _ أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ص 187. ينظر: النباهي، المصدر السابق، ص 97.

⁴ _ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص، ص: 363، 373.

صفر سنة 515هـ ولي قضاء سبتة، فسار فيها العدل، و دعم أركان الحق،¹ ثم نقل الى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، ولم يطل أمره بها، ثم ولي قضاء سبتة ثانياً،² كان قواماً للحق لا يخاف في الله لومة لائم.³

خلال العهد الموحد، فإن النظام القضائي بالمغرب و الأندلس كان يختلف عن المشرق، حيث كان الخليفة الموحد هو الذي يعين قاضي الجماعة طوال فترة الازدهار،⁴ وكان قاضي الجماعة يشرف على قضاء ولاية مراكش، إذ أنه يعين ولاية نواحيها، و ينظر في المظالم و يقيم الحدود، و قد أمر المنصور قاضيه أن يجلس في مكان يستطيع أن يسمع منه أحكامه، ولعله عنى بذلك قصر الخلافة،⁵ أما قضاة عواصم الولايات فكان الخليفة هو الذي يعينهم، و كانوا ينظرون في الأنكحة، و الموارث، والشكايات، والإشراف على شؤون المحتسب، وأحياناً يكونون مسؤولين عن الشرطة، و يقومون بتعيين قضاة مساعدين لهم في الأنكحة، والأحكام، و الموارث فيوزعون زكاة الفطر على الفقراء و المساكين، و يتولون الخطبة و الصلاة في المناسبات كالأعياد، و أحياناً يستعين به الوالي في تدبير شؤون الولاية خاصة في أحوال القتال،⁶ وكان مجلس القضاء يعقد في المسجد لأنه أقرب على الناس في شهودهم، و يتكون المجلس من قضاة و شهود، و بعض الفقهاء المشاورين و الأعوان و العدول إلى جانب أصحاب القضايا، و كانت جلساته علنية، و كان للمالكية صيغة للقسم وهي: أقسم بالله الذي لا إله إلا هو، و كانوا يصدرون

¹ _ الحسين بن محمد الشواط، القاضي عياض عالم المغرب و إمام أهل الحديث في وقته، دار القلم، دمشق، ط1، 1999م، ص 162.

² _ القاضي عياض، الاعلام بحدود وقواعد الإسلام، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت، ص: 18.

³ _ القاضي عياض، شرح الشفا، شرحه: الملا علي القاري الحنفي، ضبطه: عبدالله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص 07.

⁴ _ أحمد العزاوي، المصدر السابق، ج2، ص248.

⁵ _ عز الدين عمر، المرجع السابق، ص ص 200_201.

⁶ _ عز الدين عمرو، المرجع السابق، ص ص 202 203.

أحكامهم على أصول، فإن اختلفوا يقضوا بما صحبتهم الأعمال، فإن لم يصح، إن العمل اتصل بقول بعضهم، اخبروا من أقوالهم ثم التابعين، فإن لم يجدوا إجماعاً قضوا بما يؤدي إليه النظر والاجتهاد في القياس بعد مشورة أهل العلم، ومن بينهم: أبو علي الحسن بن علي بن محمد المسيلي، فقد اشترط فقهاء المالكية للقاضي أن يكون مالكي المذهب ذكراً، حراً، مسلماً، عالماً، عاقلاً، عادلاً، يتمتع بسلامة حواس السمع و البصر و اللسان، واحد لا أكثر حيث لا يصلح اثنين ليقضيا معاً في قضية واحدة.¹

في تاريخ الفقه في المغرب الإسلامي اشتد التلازم بين القضاء و الفتوى وهما في الواقع وسيلتان لغاية واحدة، وهي حل النوازل الواقعة للناس أو بين الناس، و الغاية في النهاية هي تطبيق فقه المذهب على واقع الناس،² ولأهميتها وجلال قدرها تولى الله أمرها بنفسه في محكم كتابه، و تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، و الصحابة من بعده، و التابعون من بعدهم، ومن خلف من بعدهم من أهل العلم، و قد انفردت أقطار الغرب الإسلامي بنظام الشورى، بحيث لا يستغني القاضي عن المشاورين، وهم فقهاء مفتون معينون،³

المبحث الرابع: النوازل الفقهية في المذهب المالكي في المغرب الإسلامي.

من الخطط الشرعية التي اهتم بها علماء الإسلام، وأحاطوها بسياج من الرعاية، خطة الإفتاء، لما لها من أهمية في نظر الإسلام و حياة المسلمين، فعليها تتوقف مصالح الناس، و بها يهتدون، في شؤون دينهم

¹ _ النباهي، المصدر السابق، ص 206. ينظر: عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014، ص، ص 174، 180.

² _ الشرحبيلي، المرجع السابق، ص 350.

³ _ عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 125.

و دنياهم، من العبادات و المعاملات، و السلوك و الخلاق، بها تنتظم أمورهم و تصان حقوقهم و ترعى مصالحهم فإلى المفتي، يقرع الناس، حال ما تحل بهم الخصومات ، و تختلط الحقوق، ولأهمية الفتوى و جلال قدرها تولى الله أمرها بنفسه في محكم كتابه، و تولاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و الصحابة من بعده، و التابعون من بعدهم و من خلق من بعدهم من أهل العلم¹، حث نجد كلمة السؤال في القرآن الكريم، تتردد في غير موضعها، و بمختلف الصيغ، كقوله تعالى "يسألونك عن الخمر، و الميسر قل فيهما إثم كبير، و منافع للناس"² "يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس و الحج"³، "و يسألونك عن الشهر الحرام، قتال فيه، قل قتال فيه كبير"⁴ و مما يجدر الإشارة إليه أن هناك مصطلحات أخرى تطلق مرادفة للفتاوى، كالنوازل، و مسائل و الأجوبة،⁵

1_ مفهوم النوازل:

لغة: النوازل جمع نازلة، و النازلة هي الشديدة من الشدائد الدهر تنزل بالقوم.⁶

اصطلاحاً: هي الوقعات و المسائل و المستنجدة، التي تنزل بالعالم الفقيه، فيستخرج لها حكماً شرعياً.⁷

كما ذكر صاحب المعيار أنه يشترط في المفتي، و الحاكم أن يكون مجتهداً في أصول الشريعة عارفاً بما أخذ الأحكام، فإن عجز عن ها فليكن مجتهداً في مذهب من مذاهب فإن عجز عن ذلك فله أن يفتي بما

¹ -عمر جيدي، المرجع السابق، ص125.

² -سورة البقرة، الآية 219.

³ - سورة البقرة، الآية 189.

⁴ -سورة البقرة، الآية 217.

⁵ - محمد بن حسن الشرحبيلي، المرجع السابق، ص235.

⁶ - ابن منظور، المصدر السابق، ص4401.

⁷ - مبارك جزاء الحربي، المرجع السابق، ص278.

يتحققه و لايشك فيه، وما خرج عن ذلك.¹ و هنا تظهر خصوصية أخرى لهذا المذهب، فلقد اهتم بها المالكية اهتماما كبيرا و ألفوا فيها المؤلفات الجليلة، منها ما وصلنا و منها ما ضاع، و لقد بلغ إنتاجهم فيها من الكثرة حدا جعل بعضهم يشك والبعض يتعجب.

2_ خصائص النوازل

تميز فقه النوازل المالكي منذ انتشاره ببلاد المغرب الإسلامي، وطيلة مسيرة تطوره " بإجماع الدراسات القديمة و الحديثة في المجال "بخصائص طبعت بنية في النظر و العمل، و تدور أهم تلك الخصائص على مصطلحات الواقعية و الظرفية و المحلية ما يجعله متجددا متطورا باختلاف الأزمنة، والحالات، والأمكنة.²

أ- الواقعية: تتميز النوازل عموما بالواقعية لارتباطها بقضايا وقعت و نزلت بالفعل، إذ ترتبط نوازل المالكية بصفة خاصة بهذه الواقعية، أشد ارتباطا منذ عهد التأسيس حين كان الإمام مالك يستتكف الخوض في الفرضيات و يحرص ألا يبحث في فقه المسائل التي حدثت بالفعل.³ ولذلك كان من الطبيعي أن يكثر نوازل المذهب المالكي الذي يركز فقهه على الواقعية، فهي تختلف عن الافتراضات النظرية، فكانت الأحداث التي عاشها الناس، في الجناح الغربي من العالم الإسلامي ما ادعت إلى اجتهاد الفقهاء، لاستنباط الأحكام الشرعية الملائمة عن طريق استقراء النصوص الفقهية القديمة و مقارنتها و تأويلها لهذا نجد أن هذه النوازل تختلف من ناحية الموضوع منها: ما يتصل بالفقه وهو الغالب، ومنها ما يتعلق بالعقيدة، وهي قليلة بالنسبة لغيرها من مسائل فقهية.⁴

¹ _الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص110.

³ _عبد الحق الزهوي، مدرسة النوازل المالكية و الإدارة العقلانية للفضاء العام أجوبة المفتي عظموم نموذجاً، مؤسسة دراسة الأبحاث، المغرب، دط، دت، ص02.

³ _محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية مغربية للتأليف و الترجمة و النشر، ددن، ط1، 1999.

⁴ _مبارك الجزاء الحربي، المرجع السابق، ص304.

ب_ التجدد: إذ كانت كتب نوازل ترتب عادة حسب أبواب الفقه في العبادات و المعاملات، فإنها تتميز بالتجدد في مضمونها بخلاف كتب الفقه العادية، ذلك أن لكل نازلة زمانها و مكانها، مصالحها، ومفاسدها. مع اختلاف أحوال المكلفين و بيئتهم مما يجعل سؤال عن مسألة واحدة يختلف في بعض جوانبه من شخص لآخر، فهي ليست مثنا فقهيا يحفظ ويدرس، ويشرح لكل الناس و يستوي الحكم لناظر فيه من أول وهلة للجميع،¹

ج_ تنوع التأليف: تختلف كتب النوازل فيما بينها شكلا و مضمونا فامن حيث الشكل نجد بعضها من التأليف الفقهية الذي كتب الفتوى، وهو حال غالب الكتب النوازل، كما هو الشأن في مسائل ابن زرب، التي جمعها صاحبه يونس بن عبد الصفار²، و عند أبي القاسم البرزلي في جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين و الحكام، و يحي المغيلي في الدرر المكونة في نوازل مزونة.³

د_ الطابع المحلي: ظاهرة الطابع المحلي في كتب النوازل من أبرز خصائصها فهي لا تبقى ساجحة في المطلق كما هو الشأن في كتب الفقه العامة، وإنما تتحدد مسائلها في المكان و الزمان و الموضوع، بحسب ما تأتي به الأسئلة التي تنبني عليها، وما تطرحه من مشاكل دينية واجتماعية و سياسية، و اقتصادية،⁴ وبذلك فإن المهم بالدرجة الأولى من هذا المنظور ليس هو بالجواب الفقهي، وإنما هو السؤال الذي يأتي بتفاصيل النازلة، ويذكر أسماء الأطراف المعنية و حتى تاريخ النازلة أحيانا.⁵

2_ أسماء بعض المؤلفات النوازية لفقهاء المالكية المغاربة:

¹-المرجع نفسه، ص311.

²-محمد حجي، المرجع السابق، ص317.

³- المرجع نفسه، ص58.

¹- محمد علي حجي، المرجع نفسه، ص306.

⁵-المرجع نفسه، ص59.

أ- محمد بن سعيد التنوخي القيرواني: إن الدارس لهذه الأجوبة يجد فيها ما يتخذ الهمم، ويقوي التعلق بقضايا الحق و العدل وهي التي ما تزال المجتمعات في كل أنحاء العالم تطمح إلى إثباتها و تحقيقها فإن هذه الأجوبة تهم عددا هاما من الأسئلة في قضايا مختلفة، و التي جمعت في عشرين فصلا، وقد تفاجئ القارئ فيها، صور غريبة وحالات نادرة، تثير العجب في حدوثها في أزمنة بعيدة، وأخرى قريبة من السلف الصالح.¹

ب- ابن أبي زيد القيرواني: قد كان الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي من أولئك العلماء الكثيرين، الذين غصت الخزانة الإسلامية بالعديد من مؤلفاتهم المفيدة التي تغني بذكرها الركبان، و تلقاها العلماء عنه بالقبول و الاستحسان، ممتد أياما عبر العصور و الأزمان منوهين بفوائدها الجمة و الغزيرة،² حيث تم جمع فتاوى أبي زيد القيرواني، من قبل الدكتور حميد محمد لحمري، وطبعت سنة 424هـ و معلوم أن ابن أبي زيد يعد من أكبر فقهاء الغرب الإسلامي. له الكثير من الفتاوى المتناثرة في بطون الكتب التي لم تجمع في كتاب واحد،³ و نسب إليه التقريب و التبيين المنسوب، كما نجد كتاب النوادر و الزيادات، عنوانها الكامل كان على الآتي: كتاب النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، و هذا يعني أنها آتت كتكملة للمدونة ليكون ذلك كتاب جامعاً لما افترق في هذه الدواوين من الفوائد، وغرائب المسائل، وزيادات المعاني على ما في المدونة، فالنوادر تشمل مسائل فقهية و فتاوى يعود جلها إلى الفترة التأسيسية يعني القرن الثاني هجري، و الثامن ميلادي، وبصفة أقل الثالث هجري، و التاسع ميلادي، أما المسائل التي تهم القرن الرابع هجري، و العاشر ميلادي، فهي نادرة الوجود، فالنوادر تمثل رجعة

¹ -محمد بن سحنون، الأجوبة، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2011.

² -نصر سلمان، المرجع السابق، ص18.

³ -مبارك جزاء الحربي، المرجع السابق، ص338.

واضحة إلى الوراثة وتدقيقاً لآراء علماء الحجاز، ومصر خلال الفترة التأسيسية، وتمثل رد فعل على تعاضم خطر الفقه الإسماعيلي الذي تم تدويله بإفريقية على أيدي القاضي نعمان.¹

كما لها أهمية لتضمنها أهم الموضوعات في العقيدة التي تحمي المجتمع من الآفات، الانحرافات العقائدية الضالة، المضللة،² كما نجد كتاب أجوبة القابسي، أبي حسن علي بن محمد بن خلف التونسي، أول من أدخل صحيح البخاري إلى إفريقية.³

ج- نوازل أبي عمران الفاسي: أبي عمران موسى بن عيسى الفاسي، كانت فناويه كثيرة موزعة على أغلب كتب الفقه، على اختلاف عناوينها بدءاً من كتب و المؤلفات أبي عمران، كتاب "النظائر و التعاليق و المسائل"، كما نجد كتاب "المسائل المختصرة"، هو عبارة عن مسائل فقهية مختصرة من المدونة، وبقية الدواوين المالكية، وإذ كان لا يوجد نسخة متوفرة إلا بعض المسائل الفقهية المتعلقة بفقه المعاملات من نكاح، وبيوع، وغيرهما، واستمرت إلا كتاب قاضي عياض، والونشريسي.⁴

د- نوازل أبي الحسن الصغير علي بن عبد الحق الزرويلي الفاسي⁵: إمام فاس و كبير فقهاء شارح المدونة الكبرى، جمع نوازه الفقيه ابراهيم التوسيلي، دون ترتيب، ثم رتبها المفتي الشهير ابراهيم الهلالي و سماها الدار النشر على أجوبة أبي الحسن الصغير.⁶

¹ - الهنتاتي، المرجع السابق، ص 212 213.

² - محي الدين سليمان إمام مديلي، ابن أبي زيد القيرواني عقيدته وموقفه من الفرق و مقاومة البدع، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة و أصول الدين، قسم العقيدة، المملكة العربية السعودية، مج 1، 2001م.

³ - محمد الحجى، المرجع السابق، ص 35.

⁴ - أبو عمران موسى بن أبي الحاج الفاسي المالكي، فقه النوازل على المذهب المالكي، تح: محمد بركة، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، دط، 2010م، ص، ص 58، 63.

¹ - هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي، يكنى أبا الحسن ويعرف بالصغير قال ابن الخطيب في الإحاطة كان هذا الرجل قيماً على تهذيب البراذعي في إختصار المدونة حفظاً وتفقهاً، ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ص 305.

⁶ - أبو عمران موسى الفاسي، المرجع نفسه، ص 36.

هـ_ أجوبة القابسي، أبي الحسن علي بن محمد بن خلف التونسي: توفي 403هـ سمع من رجال إفريقية كان واسعاً الرواية عالماً بالحديث، و علله ورجاله فقيهاً أصولياً، ألف تأليف بديعة ومفيدة منها كتاب الممهد في الفقه، كتاب أحكام الديانة كتاب المنقذ، كتاب الرسالة المفصلة لأحوال المتقين، و كتاب ملخص الموطأ، توفي بالقيروان سنة 403هـ.¹

و_ الأسئلة والأجوبة لأبي حفص أحمد بن نصر الداودي: (ت 307هـ)، من أئمة المالكية بالمغرب، و المستعلين في العلم الموحدين للتأليف، أصله من المسيلة، و ألف أيضاً كتاب النامي في شرح الموطأ، و النصيحة في شرح البخاري، و الإيضاح في الرد على الفكرية.²

ز- القاضي عياض: له كتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، جمعها ولده محمد بن عياض و قدم لها و حققها دكتور محمد بن شريفه.³

المبحث الخامس: ظهور النزعة الحديثية على عهد الدولة الموحدية.

1_ اهتمام الأمراء الموحدون بعلم الحديث:

إن الميدان الذي كان محط عناية الموحدين أكثر من غيره هو ميدان الحديث، فقد وجه الموحدون الناس إلى كتب السنة النبوية للخروج من دائرة التقليد المذهبي، و نبذ كتب الفروع، إما تطبيقاً لاختبار تبناه مؤسس الدولة المهدي ابن تومرت ثم عبد المؤمن بن علي، ولقي من جاء بعدهما من الخلفاء في

¹ _ ابن فرحون، المصدر نفسه، ص 296.

² _ القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص ص 102 103.

³ -مبارك جزاء الحربي، المرجع السابق، ص341.

كتب ابن حزم ومذهبه توافقاً مع ذلك الاختيار، فأعجبوا به و فضلوه على غيره من المذاهب الفقهية، إما تأثراً بالرجل ابتداءً، فدعوا الناس إلى منهجه العلمي الداعي إلى نبد تقليد المذاهب الفقهية و التمسك بالكتاب و السنة، وقد قال يعقوب المنصور لما وقف على قبر ابن حزم: "إن كل العلماء عيالٌ عليه".¹ و لهذا ازدهر الحديث في عهد الموحدين ازدهاراً لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمامهم به. اهتماماً كبيراً، ظهر في استدعائهم للمحدثين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة،² وقد برز هذا الاهتمام منذ عهد ابن تومرت، حيث ترك عدة آثار في الحديث، وهي في جملتها مجموعة من الأحاديث مرتبة رسائل حسب المواضيع أو اختصارات لكتب في الحديث، من الصحاح.

2_ أهم المؤلفات في علم الحديث:

1- **محاذي الموطأ:** هو كتاب اختصر فيه المهدي موطأ مالك من رواية يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي، المعروف من النسخ المخطوطة لهذا الكتاب أربع نسخ.

2- **مختصر صحيح مسلم:** هو صحيح مسلم محذوفة من الأسانيد، و يبدو أن هذا الكتاب هو إملاء من المهدي لصحيح مسلم على أصحابه بعد حذف أسانيده، تركيزاً لمنهجه في الرجوع إلى الأصول من القرآن والحديث.

3- **رسالة في بيان الطوائف المبطلين، من الملتزمين و المجسمين:** تشمل على مجموعة من الأحاديث في أهل الباطل و وجوب جهادهما.

¹ _ عبد العزيز فارح، المرجع السابق، ص 455.

² _ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 47.

4-رسالة في غربة الإسلام و البشارة بانتصار الحق على الباطل: تشمل على مجموعة من الأحاديث في هذا المعنى.

5-رسالة فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، من آياته و معجزاته.¹

حين تولى الخليفة عبد المؤمن، اتخذ خطوة أبعد من ذلك، وهي أمره بحرق كتب الفروع و الاقتصار على الأحاديث النبوية،² و إصلاح المساجد وبنائها في جميع بلادها، و تغيير المنكر، و رد الناس إلى قراءة الحديث، و كتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب و العدو.³

أما المنصور الموحيدي، فقد حاول محو المذهب المالكي من البلاد، وأمر بحرق كتب الفروع، وأن تكون احكام العلماء بما يظهر لهم من الكتاب و السنة، فاحرق منها الكثير كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس و غيرهم⁴، وأمر جماعة من العلماء بجمع أحاديث من المصنفات العشرة،⁵ مثل الصحيحين، الترمذي- و سنن أبي داوود- و سنن لنسائي- و سنن البراذعي-ومسند أبي شيبة- و سنن الدارقطني- و سنن البيهقي.⁶ كما قام بإملاء ذلك بنفسه وأمرهم بحفظه، علماً أنه كان يحفظ أحد الصحيحين⁷ ووضع لذلك المكافآت الجزية لمن حفظه، وأمر الناس بالأخذ بظاهر القرآن و الحديث، وهذا كان مقصد أبيه و جده و لم يظهره، وأظهره يعقوب في عهده،⁸ ونستدل بالحوار الذي دار بين المنصور وأحد العلماء حين دخل عليه فوجد بين يديه كتاب ابن يونس، فقال المنصور: يا أبا بكر أنا أنظر في هذه

¹-عبد المجيد نجار، المرجع السابق، ص، ص 154، 156.

²- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص406.

³- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص195.

⁴-ليلي أحمد نجار، المرجع السابق، ص472.

⁵- إدريس خرشفي، ص ص50 51.

⁶-عبد المجيد نجار، المرجع السابق، ص479، إلا أن ليلي أحمد النجار أضافت المصنف العاشر "الموطأ"،

⁷- عبد العزيز فارح، المرجع السابق، ص 455.

⁸-ليلي أحمد نجار، المرجع السابق، ص473.

الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأبي هذه الأقوال هو الحق؟ و أيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فلما حاول العالم تفسير ذلك قاطعه بالرد الحاسم: ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، أو هذا وكان يشير إلى السيف،¹ ومن خلا هذه المقولة يبرز مدى الاهتمام الذي حظي به مصنف أبي داود بالغرب الإسلامي، فدعوة الخليفة الموحد إلى نبذ كتب الفروع الفقهية و التمسك بالنص القرآن، و النص الحديثي و تحويله أساساً على سنن أبي داود لم يكن عبثاً، ولا أتى مصادفة، ذلك أن هذا المصدر الحديثي من شأنه أن يحقق للخليفة الموحد ما رامه من إفادة الأحكام من الأصول، إذ لا يخفى أنه لا يهتم إلا بإيراد أحاديث الأحكام، بل واعتبر أول ما صنف في هذا الفن.²

و من مظاهر عنايته بالحديث، أنه استدعى العلماء، ورواة الحديث من مختلف الأمصار، وأمرهم بتدريس حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك سنة 585هـ،³ كما أنه أبدى عناية شديدة بطلبة الحديث، فنالوا عنده حظوة كبيرة، و كانوا أحب الناس إليه، وقد قال فيهم يوماً في جمع من الموحدين، يا معشر الموحدين أنتم قبائل، فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته و وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم، إلا أنا، فمهما ناهم من أمر فأنا ملجؤهم وإلى فزعهم، و إليّ ينتسبون.⁴

وكان المأمون موافقاً لأبيه المنصور و متتبعاً سننه في جل الأحوال، و كان فصيح اللسان فقيهاً حافظاً للحديث عارفاً بالقرآن حسن الصوت و التلاوة، مقدماً في علم اللغة العربية و الأدب، و أيام الناس كاتباً بليغاً حسن التوقيع، لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل : البخاري، موطأ،

¹ _ حسن علي حسن، المرجع السابق، 467.

² _ إدريس خرشفي، الإسلامي، المرجع السابق، ص ص 50 51.

⁶ _ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة المدينة، ومصر، و بلاد المغرب، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية،

العراق، دط، دت، ص 210.

⁴ _ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 479.

سنن أبي داود،¹ وأنشأ الموحدون مدرسة الحفاظ، وعددًا من المدارس بفاس وسبتة وغيرها من الحواضر، ز البوادي، وألزموا الطلبة حفظ موطأ المهدي و بعض كتب السنة.

3_اهتمام الفقهاء المالكية بعلم الحديث:

من مظاهر التأثير بدعوة الموحدين للعكوف على الكتاب والسنة لا الى شيء سواهما، التأليف في أحاديث الأحكام، فنبغ محدثون لم يتأثروا جلياً بالظاهرية من بينهم:

أ_ القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ): الذي يعتبر إمام وقته في التفسير عالماً بالحديث وجميع علومه بصيراً بالأحكام حافظاً لمذهب مالك، وقد تنوعت كتب عياض في الحديث وعلومه فتنوعت:

ب_ الشروح الحديثية: والتي فيها كتابان: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، و بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد.

ج_ كتب مصطلح الحديث: و فيه كتابان: الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، مقدمة إكمال المعلم.

د_ كتب السيرة النبوية: وصنف فيها كتابان: اختصار كتاب شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم، و الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم.²

¹ _ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 204.

² _ حسين بن محمد الشواط، المرجع السابق، ص، ص 210، 217.

هـ_ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس ابن القائد الحمزي: المعروف بابن قرقول صاحب كتاب مطالع الأنوار الذي وضعه على مثال كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض، توفي بمدينة فاس 569هـ.¹

و_ الحافظ الناقد الكبير علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الكتامي: الشهير بابن القطان الفاسي، ولد سنة 562هـ، قال ابن عبد الملك: كان معظماً عند الخاصة والعامة من آل دولة عبد المؤمن، حتى كان رئيس الطلبة مصروفة إليه الخطط النبيلة مرجوعاً إليه في الفتاوى، و هو صاحب الكتاب الشهير بيان الوهم والإيهام الواقعيين في كتاب الأحكام.²

ز_ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي: يعرف بابن الخراط نزيل بجاية الإمام الحافظ العالم بالحديث وعلله، العارف برجال، الموصوف بالخير والصلاح، نزل بجاية ونشر بها علمه وأخذ منه جلةً وصنف تصانيف جلييلة منها الأحكام الكبرى و الأحكام الصغرى في الحديث و العاقبة في علم التذكير، و له الجمع بين الصحيحين و الجمع بين مصنفات السنة، و كتاب معتل الحديث، ولد سنة 510هـ وتوفي ببجاية سنة 581هـ.³

ح_ الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي يحيى بن خلف بن صاف الأنصاري المراكشي: المشهور بأبي عبد الله ابن المواق، كان فقيهاً حافظاً محدثاً مفيداً ضابطاً متقناً، وله تعقب على كتاب بيان الوهم و الإيهام لشيخه أبي الحسن بن القطان، ظهر فيه إدراكه ونبله ومعرفته بصناعة الحديث واستقلاله بعلومه، و إشرافه على علله وأطرافه.⁴

¹ _ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 62. ينظر ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 146.

² _ عبد العزيز فارح، المرجع السابق، ص ص 460 461.

³ _ ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 276 277. ينظر: ابن مخلوف، المصدر السابق، ص ص 155 156.

⁴ _ عبد العزيز فارح، المرجع السابق، ص 461.

وعلى كل فإن كانت دعوة الموحدين قد رامت نحو مذهب مالك في الفترة التي حكمت فيها ربوع الغرب الإسلامي، فقد تأتي لها ذلك لمدة زمنية معينة، ثم ليعود المذهب المالكي من جديد و يلقي بظلاله على بلاد الغرب الإسلامي، وليبقى مع كل ذلك كتاب ابن القطان في علل أحاديث السنن لأبي داود أحد الإسهامات المتميزة للمحدثين المالكية في دراسة كتب السنة النبوية.¹

¹ _ إدريس خرشفي، المرجع السابق، ص 51.

خاتمة

من خلال دراستنا للموضوع: موقف السلطات السياسية من المذهب المالكي من القرن الثاني هجري إلى القرن السادس هجري بالغرب الإسلامي، نستنتج أهم النتائج: يعتبر المذهب المالكي من أهم المذاهب التي دخلت المغرب الإسلامي حيث انتشر بسرعة مقابل المذاهب الأخرى التي دخلت في نفس الفترة إلى بلاد المغرب الإسلامي، و يمكن إرجاع ذلك لأسباب عديدة، من أهمها شخصية الإمام مالك بن أنس في حد ذاتها، بالإضافة إلى تشابه البيئتين الحجازية و المغربية، بالإضافة إلى أهم عامل والمتمثل في رحلة طلاب العلم الى المشرق وخاصة الحجاز من أجل الأخذ عن عالم المدينة الإمام مالك بن أنس_ رضي الله عنه_.

تعددت السلطات السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، في الفترة التي تواجد فيها المذهب المالكي بالمغرب، إذ تباينت المواقف فهناك من الدول من كانت مواقفها تتجه نحو المعارضة، والتي كان لها أساليب مختلفة شملت السجن، الضرب، والتنكيل. وهذا كان بارزا في الدولة الفاطمية التي حاولت بكل السبل انتزاع المذهب المالكي وإحلال التشيع مكانه.

وهناك من الدول ما كان لها موقفين فتارة تحاربهم، وتعاقبهم بشتى الوسائل، وتارة تواددهم، وتؤيدهم وترفع من قيمتهم وذلك بتقديمهم في الكثير من الأمور، ومن أبرزها القضاء والخطبة و هذا ما نجده في الدولة الأغلبية و الموحدية وهذه الأخيرة لم تتخذ من محاربة الفقه المالكي، منهجا لها وإنما كان ذلك في فترة من فتراتهما، وقد أكد البعض أن النزعة الظاهرية عند الموحدين كان لها الأثر الإيجابي في خدمة المذهب المالكي، وإن موقفهم لم يكن معادياً للمذهب بل على العكس من ذلك، كان متبنياً له، وهناك من الدول من كانت متساهمة في تعاملاتها مع المالكيين فكانت الدولة الرستمية متساهمة معه لأبعد الحدود، وهذا ما تبعته دولة بني مدرار في آخر دولتها. أما دولة المرابطين فكانت الدولة المتبنية للمذهب المالكي، حيث كان المذهب الرئيسي، والذي اعتمدت عليه في الكثير من أمور الدولة إن كانت سياسية،

اقتصادية، وحتى اجتماعية التي برز فيها الفقهاء المالكيين الذين أعتبروا من أبرز رجال الدولة فاعتلوا المناصب الرفيعة.

من جهة أخرى تباينت مواقف الفقهاء المالكيين ضد الدول المعارضة وهذا ما كان بارزا في الدولة الفاطمية، إذ وجدنا بعض الفقهاء ردوا على السلطة فهناك من رفض تصريحها، و هناك من حاربها تلميحاً، وكانت أبرز وسيلة لرد عليهم هي العلم، وهناك من ارتحل وتغرب وهذه الأخيرة وجدناها في الدولة الموحدية، ورغم ماشهده المالكيين إلا أنهم لم ينزاحوا عن مذهبهم، ولا يتنحوا عن مبادئهم المالكية، فواظبوا عليه وعملوا على تطوره، ونشره في أوساط المغاربة، ليكون المذهب السائد في كل بلاد المغرب الإسلامي، حيث التمس العديد من الميادين، كما لم يتوقفوا عن حركة التأليف، فألفوا العديد من المؤلفات كانت الداعم الأساسي في الجانب الدراسي، فأفادوا بالعديد من المصنفات في الفقه و الأصول، وفقه الفرائض والتوثيق. وغيرهم للإفادة بهم في الحياة الاجتماعية، وبعض المناصب الدولية من أهمها القضاء، التدريس، التوثيق.

إذ تعددت أشكال هذه المصنفات فمنها ما هو جديد ومستقل حيث تعددت وظائفه، لكن محتواه واحد فهو في صلب المذهب المالكي، وهناك من شرح أو تقييد لكتاب من الأصول فتعددت الاختصارات، الاستدراكات، أو التعليقات و التقويمات. حيث أصبحت هذه المصنفات عمدة أهل العلم، كونها تحتوي على حقائق تاريخية ذات أهمية بالغة، لا بد للباحث أو الدارس الاطلاع عليها، و التفقه منها الأخذ بها.

لم بتوقف الفقهاء المالكيين من نشر مذهبهم وتدريسه، حيث اتبعوا طرق تدريسية بقيت على نفس الوتيرة حتى نهاية الموحدين، و هذه المناصب كانت إما بأمر من الخليفة، أو بمجهودهم الخاص، حيث أعطت هذه المناسب صلاحيات واسعة للفقهاء، حتى وصلوا إلى أعلى المراتب وأصبحت أمورهم ميسورة، ونالوا مكانة رفيعة من الأمراء وحكام الدول التي حكمت في بلاد المغرب الإسلامي.

كما يعتبر المذهب المالكي المحرك في العديد من الدراسات الشرعية وفق منحاه الفقهي، حيث كان الموجه لتلك الدراسات بل لعل دوره قد تعدى الجانب العلمي إلى التأثير في المناحي الحياتية الأخرى للمغاربة من سياسية واجتماعية واقتصادية، إذ أجمع العديد من المؤرخين أن المالكية كانت ولا تزال العصب الأول من أعصاب تاريخ المغرب الإسلامي.

إن كل هذا لدليل على مصداقية المذهب المالكي الذي ظل صامدًا محافظاً، رغم ما شهدته طول الفترة المتتالية من القرن الثاني هجري إلى القرن السادس هجري، هذه الفترة التي حكم فيها العديد من السلطات السياسية التي تبنت مذاهب مختلفة، فتباينت مواقفها من المذهب والدليل على صمود المذهب المالكي هو مواصلة انتشاره وتطوره من فترة دخوله إلى وقتنا الحالي.

قائمة

المصادر والمراجع

أولاً:

1_ القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

- 1_ ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط، 1415هـ/1995م، ج1.
- 2_ ابن أبي الدينار، أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، المحمدية، ط1، 1236هـ.
- 3_ أبي زكريا يحيى بن إبراهيم السلماني (ت 550هـ)، منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، تح: محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد، المدينة المنورة، ط1، 1422هـ/2000م.
- 4_ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة و أخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1979م/1399هـ.
- 5_ ابن الأثير، ابن أبي الحسن علي بن أبي أكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ من سنة 303هـ إلى غاية 388هـ، مر: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، مج07.
- 6_ الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحموي الحسيني الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د، دت، مج1.
- 7_ الأندلسي، أبي سعيد أبي الحسن علي بن موسى، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، دط، 1945، ج2.

- 8_ البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي، جامع مسائل الأحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2000م، ج6.
- 9_ البشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ / 1989م، ج2.
- 10_ البغدادي، المثل والنحل، تح: ألبير خضري نادر، دار المشرق، بيروت لبنان، دط، 1986م.
- 11_ البكري، أبي عبيد(ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.
- 12_ الثعالبي، محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، نّج الجزيرة تونس، دط، دت، العدد 11.
- 13_ الجزري، شمس الدين أبي خير محمد بن محمد بن عليان، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2006م، ج1.
- 14_ الجزنائي، علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ/1991م.
- 15_ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، دط، 1397هـ/1977م.
- 16_ الحميدي، أبي عبد الله بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله(ت 488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1966م.
- 17_ الحشني، أبي عبد الله محمد بن الحارث بن الأسد (ت 361هـ)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، عنى به: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415هـ/1994م.

- 18_ ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد (ت713هـ)، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط1، دت.
- 19_ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المتبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، دط، 1431هـ/2000م، ج6.
- 20_ تاريخ العلامة ابن خلدون المقدمة، تح وتع: عبد السلام الشاذلي، بيت الفنون و العلوم و الأدب، دار البيضاء، دط، 2005م.
- 21_ ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (607هـ _ 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، دط، 1971م، مج4، مج5.
- 22_ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح وتع: محمد منصور، مكتبة العتيق التونسي، دط، دت، ج1.
- 23_ الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم الطلابي، مطبعة البحث، دط، دت، ج1.
- 24_ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ج14.
- 25_ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، ددن، ط1، 1994.
- 26_ الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

- 27_ الشافعي، أبي إسحاق الشيرازي (ت 476هـ)، طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، دط، 1970م.
- 28_ الشاوش، محمد بن رمضان، الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، ط1، 1966م.
- 29_ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين في القرن 3هـ، تح: محمد ناصرو إبراهيم بحاز، ددن، الجزائر، دط، 1405هـ/1985م.
- 30_ الضبي (599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م.
- 31_ ابن عبدون التاجي، محمد بن أحمد، ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة و المحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، دط، 1655م.
- 32_ عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، ج1، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7.
- 33_ الأعلام بمحدود وقواعد الإسلام، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.
- 34_ شرح الشفا، شرحه: الملا علي القاري، ضبطه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م، ج1.
- 35_ الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس (ت 714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
- 36_ الفاسي المالكي، أبو عمران موسى بن أبي الحاج، فقه النوازل على المذهب المالكي، تح: محمد بركة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2010م.

- 37_ الفاسي، علي بن عبد الله ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، دط، 1972م.
- 38_ ابن فرحون المالكي، إبراهيم نور الدين (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن يحيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ/1996م.
- 39_ ابن فرضي (ت403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط2، 1410هـ/1989م.
- 40_ القاضي النعمان (363هـ)، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986م.
- 41_ المجالس والمسائرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت لبنان، ط1، 1996م.
- 42_ القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول و آثار الأول، تح: أحمد حفيظ و فهمي سعيد، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1416هـ/1996م، مج2.
- 43_ ابن قنفذ القسنطيني، أبي العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب، الوفيات، تح وتع: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.
- 44_ الكتاني، محمد بن جعفر، أزهار العاطرة الأنفاس بذكر مناقب قطر المغرب وتاج فاس، ددن، دم، دط، دت.
- 45_ ابن الكثير، الحافظ (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت لبنان، ط2، 1411هـ/1990م.
- 46_ ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1983، ج2.

- 47_ المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1414هـ/1994م، ج1، ج2.
- 48_ مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة و المدينة ومصر وبلاد المغرب، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، العراق، دط، دت.
- 49_ محمد بن سحنون، الأجوبة، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2011م.
- 50_ مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكاتبها، القاهرة، 1349هـ، ج1.
- 51_ المراكشي، عبد الواحد (ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن الفتح الى آخر عصر الموحدين)، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دت.
- 52_ المسعودي، أبي عبد الله المشيخ محمد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار، ننج أنيبال تونس، ط2، 1323هـ، العدد 4.
- 53_ المقرئ التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية و الإمارات المتحدة، دط، 1980م، ج4.
- 54_ المقرئ، بقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1416هـ/1996م، ج1.

55_ ابن المنظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشادلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت.

56_ الناصري، أحمد بن الخالد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب العلمية، دار البيضاء، دط، 1418هـ/1997م.

57_ النباهي المالكي الأندلسي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط5، 1403هـ/1989م.

58_ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دط، دت، ط24.

59_ ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988م.

60_ الورداني، صالح، فرق أهل السنة جماعات الماضي وجماعات الحاضر، مركز الأبحاث العقائدية، ايران، ط1، 1424هـ.

61_ الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة العربية، دط، 1401هـ/1981م، ج5.

62_ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، دط، 1890م.

ثانيا: المراجع.

- 1_ أبو الحبيب، سعدي، سحنون مشكاة نورعلم، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1981م.
- 2_ أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، ددن، القاهرة، دط، 2009م.
- 3_ أبي عاصم بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر العربي، مصادر الفقه المالكي أصولاً وفروعاً في المشرق والمغرب قديماً وحديثاً، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1469هـ/2008م.
- 4_ ابن أحرر، إسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، دط، 1972م.
- 5_ إدريس، الهادي روجي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1992م، ج1.
- 6_ أسكان، حسن، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، المملكة المغربية، الرباط، دط، 2004م.
- 7_ بوتشيش، إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطليعة، للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.
- 8_ بورويبة، رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، دط، 1391هـ/1977م.
- 9_ الترميذي، عبد السلام، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، دار طلاس، دمشق، دط، 1994م، ج2.
- 10_ التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1981م.
- 11_ الجيدي، عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

- 12_ حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، دط، 2009م، ج1.
- 13_ الحريري، عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1408هـ/1987م.
- 14_ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م، ج2، ج4.
- 15_ حسن علي حسن، حضارة الإسلام في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.
- 16_ حمدي، عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1997م.
- 17_ حمودة، عبد الحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، ددن، القاهرة، ط1، 2006م.
- 18_ الخديري، الطاهر الأزهر، المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، مكتبة الشؤون الفنية، الكويت، ط1، 2008م.
- 19_ خلف الله، ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، الإسكندرية، دط، 1985م.
- 20_ الخليفة، حامد محمد، انتصاراته يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2000م.
- 21_ دراجي، بوزيان، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب و الأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2003م.

- 22_ دغفوس، راضي، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م.
- 23_ دندش، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1991م.
- 24_ عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.
- 25_ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس هجري، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م.
- 26_ مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها ودورهم في الذب عن مذهب السلف فيها، مكتبة التوبة، الرياض، دط، 1417هـ.
- 27_ الزيب، نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تق: أحمد بن مسودة، دار أمير بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.
- 28_ زيتون، محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، شارع الباب الأخضر القاهرة، ط1، 1988م.
- 29_ الساسي، محمد علي، تاريخ الفقه الإسلامي، اعتنى به وضبطه: محمد فاضلي، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2000م.
- 3_ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب للجامعة، الإسكندرية، دط، 2011م.
- 31_ السائح، حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 1406هـ/1986م.

- 32_ سعد، علي قاسم، تراجم فقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دم، ط1، 2006م، ج1.
- 33_ سعدون، عباس نصرالدين، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1980م.
- 35_ دولة الأدارسة في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ/1978م.
- 36_ السيد أبو مصطفى، كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دط، 1996م.
- 37_ السيد عبد الهادي، عبد الباقي، الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، دار الأفاق العربية، دم، ط1، 2014م.
- 38_ الشرباصي، رمضان علي ، المدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي، دار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط3، 2000م.
- 39_ الشرحبيلي، محمد بن حسن، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، مطبعة فصالة، المهديّة المغرب، دط، 1424هـ/2000م.
- 40_ الشرفاوي، عبد الرحمن ، أئمة الفقه التسعة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م.
- 41_ شهاب، نخلة أحمد، تاريخ المغرب العربي، دار الفكر، عمان، ط1، 2010م.
- 42_ الشواط، الحسن بن محمد، القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، دار القلم، دمشق، ط1، 1999م.
- 43_ الصلابي، علي محمد، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2006م.

- 44_ فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2006م.
- 45_ ابن صوة، محمود أحمد، مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات، مالطا، شركة Elga دط، 1997م.
- 46_ ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات الجزائرية_ المغرب الأقصى_ موريتانيا_ السودان، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1990م.
- 47_ طالبي، محمد، الدولة الأغلبية التاريخية السياسي 184هـ-296هـ، راجعه حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1995.
- 48_ الطمار، محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010م.
- 49_ طه، أحمد جمال، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، دت.
- 50_ عادل، محمد عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب وأصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الجديدة، دط، 1997م.
- 51_ عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1993م، ج2.
- 52_ عبد الرزاق، محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، دط، 1985م.
- 53_ العروي، محمد عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ج2،

- 54_العلمي، محمد، أهم أعلام التخريج في المذهب المالكي وأثره في حركية الاجتهاد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ولاية عين الدفلة، دط، 1433هـ/2012م.
- 55_علي حجي، عبد الرحمن، جوانب من الحضارة الإسلامية، مكتبة الصحوة، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- 56_عمورة، عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م.
- 57_عويس، عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م.
- 58_الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة نهضة الترف، جامعة القاهرة، دط، 1990م،
- 59_لقبال، موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 1981م.
- 60_ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1979م.
- 61_المامي، محمد المختار محمد، المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1422هـ/2002م.
- 62_محمد إبراهيم علي، اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة دبي، ط1، 1421هـ/2000م.
- 63_محمود حسن بن أحمد، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، دط، دت.
- 64_محمود، إسماعيل، الأدارسة 172هـ_375هـ، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م.

- 65_ المنوني، محمد، العلوم والآداب والفنون في العهد الموحد، مطبوعات دار الغرب الإسلامي للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977م.
- 66_ موسى عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990م.
- 67_ الموحدون في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، الرياض، دط، 1999م.
- 68_ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، القاهرة، دط، 2004م.
- 69_ الميللي، مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق: محمد الميللي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، دط، دت، ج2.
- 70_ النجار، عبد المجيد، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي 524هـ/1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية الاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.
- 71_ النجدي، عبد الرحمن، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة الناشر، دمشق سوريا، ط1، 1426هـ/2005م.
- 72_ نصر سليمان، أعلام المذهب المالكي، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2011م.
- 73_ نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
- 74_ نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض، لبنان، ط2، 1980م.
- 75_ الهنتاتي، نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، تبر الزمان، تونس، دط، 2004م.

ثالثاً: الدوريات

- 1_التحريشي محمد، أسس المكون الثقافي للحماديين، مجلة المحكمة تعنى بقضايا تراث الجزائري، الدراسات الجزائرية، معهد اللغة العربية وأدائها، جامعة وهران، العدد1، 1997م.
- 2_الخرشفي إدريس، جهود المحدثين المالكية في دراسة أمهات كتب السنة سنن أبي داوود نموذجاً، التراث المالكي في المغرب الإسلامي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة ندوات ومناضرات.
- 3_الزهوري، عبد الحق، مدرسة النوازل المالكية والإدارة العقلانية للقضاء العام أجوبة المفتي عظم نموذجاً، مؤسسة دراسة الأبحاث، الرباط المغرب، دط، دت.
- 4_فارح، عبد العزيز، صمود المذهب المالكي وبعض أعلامه الكبار بالغرب الإسلامي في فترات عصيبة، بحوث الملتقى الأول: القاضي عبد الوهاب البغدادي بمناسبة مضي ألف عام على وفاته، المؤتمر العلمي لدار البحوث، مج7، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، انعقد من 13 إلى 22 مارس 2003م، ط1، 2006م، دبي الإمارات العربية المتحدة.
- 5_فلوسي، مسعود بن موسى، المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، 2000م، العدد الأول.
- 6_ليبدري بلخير، العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، مجلة المقتطف المصري التاريخية، يونيو 2010م، العدد5.
- 7_محمود، إسماعيل، مغربيات دراسات جديدة، فاس، 1970م.
- 8_منسان، محمد وأدير، المدارس الفقهية المالكية قراءة النشأة والخصائص، مجلة الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدریسا، بحوث الملتقى الوطني، زاوية الشيخ الكبير بأدرار، 10_11 رجب 1431هـ/23_24 جوان 2010م.

رابعاً: المذكرات الجامعية:

- 1_ أحمد النجار، ليلي، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، دورة 1989م.
- 2_ البياتي، علي محمد، بان، النشاط التجاري للمغرب الأقصى خلال القرن 3هـ/5هـ/9م_11م، رسالة الماجستير، جامعة بغداد، 1955م.
- 3_ بن محمد، عبد النبي، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1399هـ/1979م.
- 4_ حواله، يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري من 90_450هـ، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، 1429هـ/2000م، ج1، ج2.
- 5_ عليلي محمد، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستمين خلال القرنين 2_3هـ/8م_9م، مذكرة الماجستير، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2007م/2008م.
- 6_ كعوان، حفيظ، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي من القرن 2هـ/5هـ/8م_11م، إشراف إسماعيل سامعي، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 1429هـ/1432هـ/2008م_2009م.
- 7_ محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة الماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1418هـ/1997م.
- 8_ محي الدين سليمان إمام مديلي، ابن أبي زيد القيرواني عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/2001م، مج1.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

_البسمة

_كلمة الشكر.

_الإهداءات.

_قائمة المختصرات.

_مقدمة.....أ.د.

_مدخل: المذهب المالكي وانتشاره بالمغرب الإسلامي.....10_20.

_الفصل الأول: السلط السياسية المعارضة للمذهب المالكي بالمغرب الإسلامي.....22_60.

_المبحث الأول: الأغالبة بين تمهيش واستمالة الفقهاء.....22_31.

_المبحث الثاني: الدولة الفاطمية واضطهاد المالكية.....32_42.

_المبحث الثالث: دولة بني زيري بين التشيع والقطيعة المذهبية.....43_53.

_المبحث الرابع: الدولة الموحدية وفقه الفروع.....54_60.

_الفصل الثاني: مناصرت السلطة السياسية للمذهب المالكي بالمغرب

الإسلامي.....62_92.

_المبحث الأول: دول الخوارج والتسامح المذهبي.....62_70.

_المبحث الثاني: تبني دولة الأدارسة للمذهب المالكي.....71_78.

_المبحث الثالث: دولة بني حماد والمذهب المالكي.....79_84.

_المبحث الرابع: دولة المرابطين دولة الفقهاء.....85_92.

_الفصل الثالث: انتصار وتطور المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي.....94_124.

_المبحث الأول: التأليف وأهم المؤلفات المالكية.....94_99.

_المبحث الثاني: التدريس والمدرسون بالمغرب الإسلامي.....100_104.

_المبحث الثالث: القضاء المالكي بالمغرب الإسلامي.....105_112.

_المبحث الرابع: النوازل الفقهية بالمذهب المالكي بالمغرب الإسلامي.....113_118.

_المبحث الخامس: ظهور النزعة الحديثية على عهد الموحدين.....119_124.

الخاتمة.....126.

.128

_الملاحق.....130_133.

_قائمة المصادر

والمراجع.....135_151.

_الفهرس.....153_154.

